



معهد البحوث والدراسات العربية

الاشتراكية والقومية بمصر وأثرهما في الأرب التحديث

مؤلفه

ألفها

الدكتور يوسف عز الدين

أستاذ الأدب العربي الحديث
في جامعة بغداد

على طلبة قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية

الاشتراكية والقومية

وأثرهما في الأربّ الحديث



معهد البحوث والدراسات العربية

الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأرب التحديث

مخاضة

أقام

الدكتور يوسف عز الدين

أستاذ الأدب العربي الحديث
في جامعة بغداد

على طلبة قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية

الإهداء

إلى جيل أبناى . . .

لئن لم نحقق أحلامنا ، ولم نر أمانينا حقيقة واقعة . . . فعسى
أن تسعدوا فى جيلكم فى وحدة شاملة وحياة اشتراكية عزيزة تسودها
الرفاهية . . . وحسبنا أننا بذلنا ما فى طاقتنا فى سبيلكم لتعوا
حاضرنا المتشقق المريض ، ولتبنوا لكم حاضراً خيراً من حاضرنا ، سعيداً
عزيزاً .

وتلك أمانينا ستبقى من أعز الآمال ، وأعذب الأحلام ما عشنا .

مقدمة

كانت فرصة سعيدة على نفسي ، عندما دعاني استاذي الجليل العلامة محمد خلف الله لإلقاء محاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية ، فقد جدد صلاتي بالمعهد وبأساتذته وطلابه الأعزاء .

وقد قلبت وجوه الرأي في المواضيع والتيارات التي سأحاضر فيها ، فعمّنت لي عدة تيارات وجدهتها جديرة بالدراسة والاهتمام ، منها ما درس في المعهد ومنها ما لم يدرس .

وقد رأيت أن أتناول جزءاً من الموضوعات التي أدرسها في قسم الماجستير بجامعة بغداد ، وأمرٌ مروراً سريعاً بالباقي منها ، لأن فيها جوانب أراها جديرة بعناية الباحثين في الدراسات الفكرية العربية المعاصرة .

والوقت الضيق لم يسمح لي باستيفاء جميع الموضوعات التي أريد عرضها لذلك أكتفي بموضوعين أو تيارين هما الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب العربي عامة وفي العراق بوجه خاص .

وسيجد القارىء إنني عنيت بالاشتراكية أكثر من عنايتي بالقومية لأنها موضوع بكر بالنسبة للفكر العربي المعاصر فرأيت أن أضع لبنة أولى في دراسته وأوليت العناية للجانب التاريخي منه لجهل كثير منى طلابي بجذورها ومقوماتها وتتبع أثرها في الأدب العربي الحديث .

وقد عرضت في هذه الدراسة السريعة إلى الجوانب المهمة وكنت أتمنى أن أذكر آراء المعارضين لها وأذكر حججهم غير أن النصوص المحدودة التي وصلتني كانت حائلاً دون ذلك وعي أن تتاح لي فرصة كي أعرضها

بجلاء ووضوح للتعرف على جميع جوانب المعرفة ولاستكمال البحث والدراسة .

وأتمنى أن يتوفر على دراسة أثر الاشتراكية في الفكر العربي المعاصر أحد طلاب الدراسات العالمية ويعد فيها رسالة يستقصى فيه ما لم أقدر على استقصائه ، إذ ما تزال الكثير من النصوص والجذور متفرقة في الكتب التي ألقت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وفي نتاج الأدباء المعاصرين .

وحسبى أننى أثرت موضوعاً جديداً وأترك لغيرى السير في الطريق لتمهيده ...

والله الموفق ومنه نستأهم الصبر في البحث والسداد في الرأي .

القاهرة :

محرم الحرام ١٣٨٨ هـ } القاهرة
نيسان ١٩٦٨ هـ }

يوسف عبد المدين

الفصل الأول

العقيدة والفكر

البحث في التيارات الفكرية يثير الحديث عن العلاقة بين الفنون والآداب على اختلاف أنواعها وبين العقائد التي تعتنقها الشعوب .

فقبل ظهور الدعوات الجديدة ونمو التيارات الفكرية في كل بيئة من بيئات الإنسانية وانتشارها ، تتجلى ظاهرة الإحتجاج على النظم السائدة لتمهد الطريق للإصلاح الاجتماعى والفكرى ولتنقل حياة الشعوب القديمة إلى حياة جديدة خير من حياتها التي كانت تعيشها في المجتمع القديم .

وعندما تسيطر الدعوة الجديدة على الفكر في شعب من الشعوب وتلقى صدى حسناً في نفوس المصلحين نجد الأدباء في الغالب يعانون من أزمات نفسية ورجات فكرية نتيجة النقلة والتردد بين القديم الذى ألفوه والجديد الذى دأبوا فكرهم وغير معالم حياتهم ، لذلك فهم يؤمنون أولاً بالفكرة عقلياً ويظل وجدانهم بعيداً عن مسارب المؤثرات الجديدة . فالكاتب يريد أن يصلح فساد شعبه ويريد أن يغير حالته لكن رواسب الماضى المتكلسة فى اللاشعور تمنع عواطف الأديب من الانطلاق والحرية والانسجام مع التيار الجديد .

وفى مثل هذه الحيرة والقلق بين العقل والعاطفة تظهر دعوة الانزمام والتأكيد على ضرورة الأخذ بالمثل الجديدة لاسيما إذا كانت السلطات تأخذ بالتيار الجديد وتلتزمه وتفرضه على المجتمع قبل أن ينفعل الأديب به ويصبح جزءاً من وجدانه وعقله الباطنى .

ومعنى الالتزام .. أن يصب الأديب أو الشاعر عقله فى أطر جديدة ويسير فى تيارات حديثة ويلزم عقله بأخذ هذه الدعوة ويجسدها فى أدبه . وعندها يظهر عنصر الصنعة ويطبع الأديب بطابع جديد يظهر وكأنه أديب مصطنع لأن العقل وحده هو الذى أملى الإنتاج ، دون أن تتسرب العاطفة إليه ، فنرى الكلمات فيه رجراجة والشعارات غير مستقرة وقد استعملت نائية ويصبح الأدب نسخاً مكررة مملولة . . ويخرج الأديب من طور الاحتجاج والثورة إلى طور جديد يحاول أن يأخذ به فى أدبه ليساير هذا التيار الجديد .

وهذا واضح فى كثير من بدايات الدعوات إلى العقائد ، فقصاصد حسان ابن ثابت وكعب بن زهير الأولى لا تختلف كثيرأ عن قصيدة الأعشى التى نظمها فى الرسول الكريم إذ لم يكن قد تسربت فكرة العقيدة الإسلامية فى نفوسهم وإنما أحسوا بأن العقل ارتضى هذا الدين فىجب أن يؤيدوه . .

لما تسربت العقيدة الإسلامية فى النفوس وجدنا هذه العقيدة قد أصبحت جزءاً لا يمكن أن يفصله من أدب الأدباء .

وبعد أن تتسرب العقيدة فى النفوس ويظهر جيل جديد كان قد نما فى ظل العقيدة الجديدة فإن التأكيد على الالتزام يحتفى لأن الأديب أو الفنان يتحول لاشعور ياملتها ، وتصبح العقيدة نابعة من وجدانه واحاسيسه ، فلا نجد أثر التصنع فى أدبه بعد أن تحول العامل الخارجى إلى الوجدان ، سواء جاء هذا التحول من عقله أو من المجتمع الذى يعيش فيه .

وبذلك تكون العقيدة السائدة بين الشعب صلة مشتركة بين الأديب أو الفنان وجمهوره ، وعند ذلك تتطور الموضوعات ويمدح فيها الأديب ويظهر الطابع الفنى المميز لكل فنان ويتجلى أسلوب التعبير وماتته لكل أديب ، وعندها يمكننا أن نتفعل بالأدب أو الفن لاشعورياً ونفرق بين الفنان

الموهوب والكاتب العبقرى من إنتاجه ، وبين محترف الفن والأدب الذى يضيف إلى الإنتاج الفكرى أو الفنى (كماً) ولكنه لا يقدر أن يضيف على الانتاج (كيفاً) .

وقد كانت الشعوب فى الماضى منعزلة تمام الانعزال عن بعضها، فقد فرضت حياة القرون الماضية هذه العزلة ، لذلك وجدنا انسجاماً بين الشعب أو الجماعة الواحدة عندما تظهر العقيدة وتنتشر بينهم ، وبالضرورة يكون الأدب أو الفن فى هذه الجماعة معزولاً فى بيئة محدودة ، وبمحيط فرضته العزلة وتحتاج المذاهب والآراء الجديدة لى تنتشر وقتاً طويلاً لصعوبة المواصلات وسبل اتصال الثقافة المختلفة ونشرها وسيطرتها . وقد ساعدت المواصلات الحديثة والطباعة وطرق الاتصال فى جميع أجزاء العالم على نشر الآراء وسرعة تداولها واعتناقها وكسرت طوق العزلة التى كانت فرضتها القرون الماضية . فنحن نجد اليوم فى البلاد العربية من يعتنق آراء أمم بعيدة بآلاف الأميال عن وطننا ، فقد سببت هذه السرعة انسجاماً فى العقيدة سريعاً ، فانعكست الآراء فى الآداب والفنون . فإذا كانت الأمم البعيدة عنا أخذت بآرائها وعقائدها تسيطر على عالمنا العربى ، وفى الشعب العربى قابلية واستعداد ليخلق توافقاً فى العقيدة وانسجاماً فى الآراء أسرع من أية أمة من الأمم .

وكان من جراء التأثير بالتيارات البعيدة ، أن فقد الأديب أو الفنان الصلة التى تربطه بالشعب الذى يعيش فيه ، لأن الشعب فى أكثره كان بعيداً عن التأثير بما تأثر به الفنان وقد يكون هذا التأثير عقيدة فنية أو آراء فكرية لم يقدر الشعب أن يشاركه فى عقيدته هذه ، ولم يكن الزمن قادراً على خلق العقيدة المشتركة بين الفنان والجمهور .

فكان من جراء فقدان الرابطة المشتركة بين الشعب والفنان المتأثر بالآراء البعيدة انصراف الكاتب أو الفنان إلى العناية الكبيرة بالشكل تمويضاً عما فقدته من التجاوب الشعبي بين أدبه وبين شعبه وأضاع الموضوع الذي يجب أن يكون هدف الفنان، والمضمون الذي يجب أن يكون في إنتاج الأديب .

وكان من جراء فقدان الصلة بين الجماهير والفنان والأديب أن وجدنا غموضاً وضياءاً وقلقاً في الأدب العربي سرى إلى الشعر والقصة والمسرح والفنون الجميلة بصورة عامة ، فغدت الفنون والآداب عند هؤلاء مباراة في إبراز المهارة الشكلية في الألوان وانتشار الضوء وخلق أسماء ومسميات، تغطية للفن الجديد الذي فقد الصلة الوثيقة التي تربط الماضي بالحاضر وهو نتيجة حتمية لفقدان العقيدة المشتركة بين الجمهور والمنتج ، أديباً كان أم فنانياً .

والاشتراكية فكر جديد في عالمنا العربي وتطبيق اقتصادي وسياسي لم تأخذه الحكومات العربية إلا متأخرة ، وقد شارك الأدباء والفنانون بإنتاجهم محاولين نشر الفكر الاشتراكي واتخاذ وسيلة للوحى وسبيلا للكتابة وتسجيل مشكلات الشعب العربي في هديه . دون أن تكون الاشتراكية قد تسربت في وجدان الشاعر أو الأديب أو الفنان ، وإنما حاول أن يضع شعاراتها في إنتاجه مساهمة منه في بث وعي اشتراكي .

ولو رجعنا إلى جذور التفكير العربي في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لوجدنا الفكر العربي قد مر بمرحلة من مراحل الاحتجاج على المجتمع الذي كان يعيش فيه فقد احتج وقاوم الاستعمار عندما رأى الشعب مهاناً مستعبداً وبرز الاحتجاج من جراء التفاوت الطبقي وتفشى الإقطاع وسوء حالة الفلاحين فكانت هذه الجذور سبباً في أن

تُظهِر دعوات تنادى بتغيير حالة الشعب إلى حياة أفضل من حياته، تُسودها
السكرامة والعزة .

وقد تجلّى هذا الاحتجاج بأساليب متنوعة من أبرزها الاتجاه العاطفي
ورسم صور الرحمة والشكوى من حالة الشعب المتردية ، ومن أمثلة
هؤلاء كان المنفلوطي الذي رسم في كتاباته أجمل الصور التي تثير
في النفوس السخط والثورة والاحتجاج على حالة الفقراء ، والثورة على
أصحاب الأموال والأغنياء، حتى كان يقول بأن أجمل البكاء بكاء المنكوبين،
وقد كانت تعجبه في مطالعته أشعار الهموم والأحزان ومواقف البؤس
وقصص المحزونين والمنكوبين . . . ومصارع الشقاء لأنه يرى أن الدموع
مظهر الرحمة في نفوس الباكين . . ولما أحب الرحمة أحب الدموع ،
وكأنه يرى الحياة، موطن البؤس والشقاء ومستقر الآلام والأحزان (١)
وظهرت في العراق في كتابات محمود أحمد السيد الذي عنى بالنكبات ومصير
الضعفاء ، عناية واضحة ودعا صراحة إلى الاشتراكية والأخذ بها، متأثراً
بالكتاب الروس وبآثارهم ومعجباً إعجاباً واضحاً بهم، وسجل ما رآه في
المتجمع العراقي من جهالة الأكثرية الساحقة ومتربتها ومرضاها، وعنى
بالفلاح العراقي وآلامه وود أن يخلصه من عذابه (٢).

ثم تظهر الواقعة الاجتماعية واضحة في قصص ذنون أيوب في العراق . ونجيب
محفوظ في خان الخليلي والقاهرة الجديدة ، وزقاق المدق وبداية ونهاية، وطه
حسين في « المعذبون في الأرض » والاتجاه العقلي لدى سلامة موسى .

أما في الشعر فقد وجدناه ظاهراً في الرصافي في العراق وحافظ إبراهيم
في القاهرة .

(١) النظرات ج ١ طبعة ١٩٥٢ لاحظ المقدمة .

(٢) في الأدب العربي الحديث المؤلف س ٢٢١ فصل عن القصة العراقية .

ولما أصبحت الاشتراكية أسلوباً للعمل رأينا مشكلة الالتزام تظهر مرة أخرى فحاول قسم من الكتاب، الانتاج على ضوء الفكر الاشتراكي محاولين أن يبرزوا طابعه في ثنايا كتاباتهم ، ولو تصفحنا هذا الانتاج في جملة له لما رقى إلى أدب الاحتجاج الذي كتبه الأذباء في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فهو أدب اجتماعي يمكن أن يوضع في باب الإصلاح الاجتماعي التقليدي ، لأنهم فرضوا الاشتراكية في أديهم فرضاً لما رأته عقولهم الاشتراكية شيئاً جديداً صالحاً ، ولأن المجتمع ارتضى الاشتراكية لونها من ألوان الكتابة والفن ولم يكن الفكر الاشتراكي جزءاً من عقولهم ، ولم يتسرب إلى أحاسيسهم وجدانهم ، ولم يصبح جزءاً من كياناتهم ليصبح أدباً نابعاً من إيمانهم وعقيدتهم دون فرض عقلي أو دافع اجتماعي خارجي فكان من جراء ذلك وجود شخصيتين للكاتب : الأولى تؤمن بالمثل العليا وضرورة تطبيقها ، والثانية تنبع من الإحساس الداخلي الذي تكلمت فيه المثل القديمة . فهو ينادى بالإصلاح وتطبيق المثل الاشتراكية ولكنه يتردد كل التردد عندما يحاول أن يطبق هذه المثل على نفسه وذوي قرابه .

وعندما تسيطر الآراء الجديدة على الناس وتصبح جزءاً من اللا شعور أو العقل اللاوعي ، ستطبق الاشتراكية من قبلهم ولو تخلف قسم منهم عن التطبيق لارتباطهم الطبقي أو الرأسمالي القديم ، فقد ظهر بعض الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال الذين يرتضون الاشتراكية مذهباً ولكن عواطفهم وحاجاتهم الفردية عاقت دون هذا التطبيق .

ولا يختلف العرب عن الشعوب الأخرى في ظاهرة الاحتجاج والممهدات للدفاع عن مصالح الشعب والخروج به من وضع سيء إلى وضع حسن فقد وجدنا مثل هذه الممهدات في الأدب الفرنسي قبيل الثورة الفرنسية في كتابات ديدرو ومونتسكيو وفولتير وسوف قد أعدوا بكتاباتهم الرأي العام

للثورة على الاقطاع الفكري والاجتماعي كما حدثت مثل هذه الظاهرة في روسيا
فقد مهد الكتّاب الروس من أمثال ليون تولستوى ومكسيم كوركي
وبوشكين قبلهما لهذه الثورة .

ويمكننا أن نرى هذا الاحتجاج الواضح في أقسام من البلاد العربية
التي تظهر فيها سمات الاستغلال الواضحة وسيطرة الرأسمال العميقة، ولا سيما
الأجنبي منها في الدول التي لم تتحرر بعد .

وعندما تتأكد الفكرة الاشتراكية في الأدب العربي الحديث ، ويعتق
الأدباء الاشتراكية مذهباً لهم في حياتهم فلا بد أن يظهر لون جديد من
ألوان الأدب يتجه وجهة اشتراكية، تهدف إلى تحويل المجتمع العربي من
مجتمعه القديمة ومثله السابقة نحو واقعية اشتراكية عربية تختلف في مفاهيمها
عن الأدب الاشتراكي العالمي، وتبرز مظاهرها واضحة المعالم تنبع من الواقع العربي
ومشكلاته المختلفة وفقاً للنظرية الاشتراكية العربية التي ترتبط بفكرة
الثورة وتمهد لانساع الفكرة العربية في وحدتها وحريتها ، وتصبح الفكرة
العربية الاشتراكية وحدة حية مترابطة مع المنطق الأخلاقي لكل فكرة
اجتماعية عربية ، مع كل الأدب الفردي والاجتماعي والمثالي . لأن الواقع
الاشتراكي يجب أن يتسع للمفاهيم الانسانية الواسعة الآفاق ويحلل منطق
الحياة العامة ويمثل كل جهده في رسم الواقع لمكافحة المتناقضات التي تمنع
وحدة الأمة وتطویرها نحو حياة أفضل من حياته الأولى .

ويجب أن يتخذ الكاتب الاشتراكي العربي الاشتراكية عقيدة عمل في سبيل
تطوير أمته وليست سبيلاً فنياً ، أي أن الأدب الاشتراكي يجب أن يكون
فلسفة يثر من بها الأديب وأسلوباً لمعالجة المشكلات العربية وتوسيع الآفاق
أمام الفكر العربي بعيداً عن كل طريقة شخصية .

والخلاصة ان الأديب المبدع هو الذي يصب تجاربه مع تجارب
شعبه ويسجلها بأسلوب واقعي ينقل بها حياة شعبه إلى حياة مثلى جديدة .
(الاشتراكية - ٢)

الفصل الثاني

الدين والعلم

في مثل هذا الجيل الذي نعيش فيه ألقت مشكلات الشعب العربي على غاتقنا مسؤولية ضخمة، فنحن في عصر من أشد عصور العرب قلقاً، لأن الطاقات العربية عندما بدأت تعي نفسها وتحس مسيرتها، وقف أمام مسيرتها الأعداء من كل جانب خوفاً من وحدة العرب. ونسى هؤلاء أن العرب في كل عصورهم كانوا رمز الحرية والحضارة ولم يكونوا من المعتدين أو الظالمين.

فالرسالة ضخمة، ولن يتحملها إلا الأديب الذي يحس بها إحساساً كاملاً وينفعل بكل دقائق الأمور فيها ويقدر هذه الرسالة ويبدل كل طاقاته في سبيل تبديل الفكر العربي وتطويره بأسرع ما يقدر عليه.

وقد ابتلى الشعب العربي بمعارك ضارية وأعداء من الداخل والخارج وأصيب بشكبات سياسية واقتصادية وفكرية، بددت شمله ومزقت وحدته وشققت الرأي الموحد بين أبنائه. وعلى الأديب أن يصمد في معركته الفكرية ويجرد نفسه صادقاً لخدمة شعبه، وأن يكون نخلصاً دقيقاً.

نحن وعينا مشكلاتنا مع دخول الاستعمار والسيطرة الأجنبية على بلادنا فيجب أن يتحول الأديب العربي لدراسة واقعنا العربي، ويستخرج ما يلائم الذات العربية بعد أن تغيرت المعايير العالمية ودخلت إلى أذهننا مختلف الحضارات الإنسانية وكلها تحاول أن تبتز العربي والمسلم من تراثه الحضاري العريق ليكون تائهاً في جيرة، يتخبط في الحياة وعلى الأديب الاستفادة من التاريخ الحضاري الإسلامي ويلائم هذا التاريخ الحضاري مع الحضارة الحديثة، ويخرج منها بما يفيد.

الحاضر العربي ومستقبله . لأن المضمون الفكري عند العرب يجب أن يتطور في صالح الوحدة العربية والفكر الاشتراكي ، وأن تكون للكاتب شجاعة الجندي وعقيدة المؤمن في سبيل قلبه ، وأن يختط تاريخاً جديداً لا تبعده مقوماته عن المثل العربية والإسلامية ، بعد أن سادت الحيرة النفوس وعم الضياع الفكر العربي نتيجة التخبط الذي وضعه المستعمر عندما قسم البلاد العربية .

ومن الضروري أن تكون أسس الثقافة الجديدة موحدة ، في إطار واضح تعمل في بناء مقومات عربية حضارية جديدة ، وإلا سوف تجرفنا الحضارة العالمية ولن يبقى لنا من مقوماتنا غير الصور الخيالية البعيدة عن واقعنا .

ويجب ألا ينسى الأديب أن من أهم خصائص القومية العربية السمو وعدم الاعتداء . وتتلخص مقومات الأدب الجديد بمناهضة الاستعمار ، ومساندة العمل الاشتراكي ، ورسم صور جماهير الشعب العربي ليسير نحو الوحدة العربية في إطار ثقافي جديد لبعث الثقة في مقدرة العرب لاستئناف النضال والدفاع عن كرامتنا ، وتوجيه الفكر العربي كله نحو مصالح الأمة العربية . إذ أن السيطرة على الشعوب لا تتم بسهولة ويسر إلا إذا تمكن الأجنبي من السيطرة على فكر الشعب .

وها نحن نرى الحرب قائمة للسيطرة على فكر الشعوب بكل سبيل ، لأن الاستعمار القديم خسر الوسائل القديمة التي كان يلجأ إليها ، وترك حرب الجيوش لأنها سرعان ما تخسر معاركها .

وقد ظهرت في مجتمعنا العربي عدة اتجاهات فكرية ، حاولت أن تسيطر على الآراء العربية وتستعبد بها ، محاولة القضاء على المقومات العربية ، والمثل الإسلامية التي اعتبرها الاستعمار أقوى قاعدة بُنيت عليها الفكر العربي المعاصر وما زال يستمد عناصره قوته منها ،

ولم يرتض الفكر العربي أن يقف متخاذلاً أمام هذه التيارات التي أرادت القضاء عليه، وإنما برزت فيه قابليته للتحدى، فوقف أمام الكثير منها وقبل ما رآه ملائماً منها .

وقد كان بودى أن أحاضر لكم في جميع التيارات الفكرية التي انفعل بها الأديب والتي أثرت فيه ، غير أن وقى الضيق حال دون الإفاضة ولا بد أن نمرّ مروراً سريعاً على معالم التيارات التي ما تزال تعمل عملها .

وأول ملاحظة يجب أن نضعها نصب أعيننا ، ان هذه التيارات ليست وليدة اليوم أو السنة فمنها ما نذهب بعيدة الأغوار إلى قرون ، فإذا عدنا إلى جذورها التاريخية أدركنا الكثير من الأزمات الفكرية المعاصرة ووجدنا كثيراً من الأجوبة التي تمر بالفكر العربي المعاصر . لأن في فكرنا العربي المعاصر عدة تيارات وثقافات متنوعة منها ما رسب في اللا شعور ومنها ما بقي على السطح ، وارك لكم التوسع في الموضوع لسبر أغواره .

أما أهم هذه التيارات الفكرية التي ما تزال تعمل عملها فهو التيار الديني . فبالرغم مما دخل على الدين الإسلامي من شوائب ، وزيدت عليه من زوائد بعيدة عن جوهره وأصالته فما زال القاعدة الفكرية القوية التي تنطلق منها كثير من الآراء والاتجاهات الفكرية المعاصرة والحديثة .

وما يؤسف له ، أن كثيراً من تولى القيادة الدينية لم يحاول أن يرفع من مستوى الشعب العربي ، ولم يلائم نفسه مع التطور الحضارى والتقدم الإنسانى . وحجب تعاليم الدين عن المجتمع العربي ، واهتم بالمظاهر دون العناية بالجوهر الاجتماعى الذى كان من أهم أسس الدين الإسلامى ، فقد مر العالم العربى بدور كان يعارض رجال الدين فيه هؤلاء أهم مقومات الحضارة .

فقد قال محمد كرد علي :

« تأصلت الأوهام فعدت على أقدم القربات ، وسار الناس مع تيار
الجهل ، وتقديس أقوال أدياء العلم والتقوى ، وصدرت الأحكام بعوامل
الأوهام وغدت هذه البلاد كبرج بابل في التبليل والتشويش اتخذت كل
منهما لها أئمة وأولياء وأنشأت تكبر أمرهم وتدعى لهم مقاماً ، ادعوه
لأنفسهم ، وراح الفقيه يكفر الصوفي والصوفي ينقم على تقديسهم ... »
ويأتي على ذكر الكلمات التي يتهم بها هؤلاء مخالفينهم حفاظاً على مكاسبهم
الفردية فقال :-

« فترى كلمات التضييل والتكفير والتبديع والتسنيق أسرع إلى أفواههم
من الماء الحذور ... فوارحمته على أناس أضاعوا فضل عقولهم في الجدل ،
ولكن كان الخير يأتي من جهتها لو اشتغلت بالمفيد ونبت الأهل
ظهيراً (١) ... »

وقد كان العرب - أو كان أكثرهم - تحت السيطرة العثمانية وكانوا راضين
بالحكم الاسلامي لسببين : الاول أن أوربا كانت تريد استرقاقهم واستعمارهم ،
وهي بعيدة كل البعد عن العرب في تقاليدها وعاداتها . والثاني :- ان الدين
الاسلامي كان أرسخ في قلوبهم وأعظم في حياتهم ، وكانت عليه أكثرية الشعب
العربي ، وبالفعل كانت أوربا تبذل كل ما في طاقتها للقضاء على الفكر
الاسلامي ، لأنه كان يشكل خطراً يهدد مصالحها الاستعمارية وقد كان
الاستعمار يرى العامل الديني قوياً في نفوس العرب ويقف أمام سيطرته

وحكمه ، فشن حرباً صليبية كما قال أسقف نيويورك ، والقائد النبي (١) ولما دخل الجنرال غورو دمشق ، ذهب إلى قبر صلاح الدين وقال له : عدنا يا صلاح الدين .

ثم إن رجال الاستعمار شنوا حملة شعواء على الدين الاسلامي ، وزعموا بأنه دين جامد لا يصلح للعصر الحاضر ، ويوقف حركة التطور الانساني (٢) . فان صلح للقرون الأولى فلن يصلح للقرن العشرين ، فكان رد الفعل عميقاً في نفوس المفكرين ، فردوا على هذه الدعاوى ، لأن الدين معناه الوطنية ومهاجمته معناه مهاجمة الوطن والعقيدة ، وقد وجدنا في الرد على هذه الدعاوى صدى في شعر الشعراء ونثر الأدباء ، الذين التفتوا حول الدولة العثمانية باعتبارها حامية الدين الاسلامي ، وكان من جراء هذه المهاجمة أن دعا المفكرون إلى ضرورة العودة إلى منابع الدين الاسلامي الأصلية ، والتمسك بالتعاليم القوية ، وتخليص الاسلام عما تعلق به من شوائب وزيادات وخرافات ، بعيدة عن جوهر الدين وأصوله ، فظهر جمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وشكيب أرسلان .

وأول مالفت نظر المفكرين ان السلطان باستبداده وحكمه المطلق حال

(١) نقل للورد ويفل صورة رمزية من مجلة انكليزية للقائد الانكليزي النبي في عودته من حرب فلسطين وقد كتب تحتها «العودة من الحروب الصليبية ، وتلقى رئيس أساقفة كانتربري برقية من أسقف نيويورك يشكره على المساعي التي يبذلها في الحروب الصليبية» عن جريدة الأهرام العدد ٦ مارس ١٩٢٠ . يلاحظ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر تأليف أستاذنا الدكتور محمد حسين ج ١ ص ١٥ و ١٦

(٢) يلاحظ مهاجمة كرومر وتعليق نيومان القائل (.. تطور العالم خلال القرون بينما ظل الاسلام واقفا مكانه لا يتحرك فاذا أمكن للمبادئ الاسلامية أن تتطور مع الزمن المتطور ، بدلا من الارتباط بعالم خيالي لا يسمح للتطور الزمني أن يتطرق اليه ، وقد تراكم عليه نسج العنكبوت منذ فرار محمد من مكة ..) الدكتور محمد حسين ج ٢ ص ٢٨٧

(٣) من الشعراء يلاحظ بشوقي والكاشف ويكن . ومن الكتاب محمد عبده وعبد الله نديم ومحرم والإصافي والزهاوي والشبلي والعقوي وغيرهم .

دون الإصلاح لأنه لم يقبل المناقشة والشورى ، واستبد بالحكم وترك أمر الدين وانغمس في أمر دنياه ، فظهرت صيحات الإصلاح في كتابات هؤلاء . وقد كان ظهور رجال الدين الأفغانى عاملاً فعالاً ، في هذه الفترة فقد رفع لواء السياسة والدين ، ولم يكن يستطيع أن يؤثر تأثيراً إصلاحياً سياسياً إلا عن طريق الدين الإسلامى ومن أجل ذلك ركز أكثر جهوده الثورية في الإصلاح الدينى والعمل على تطهير الإسلام من البدع والرد على المستشرقين الذين هاجموا الدين الإسلامى ، ومن ذلك رده على أرنست رينان ودفاعه عن العرب ومن أرائه في الإصلاح قوله (إنا معشر المسلمين إذا لم يؤسس نهوضنا وتمدنا على قواعد ديننا وقرآننا ، فلا خير لنا فيه ، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق ، وأن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا ، من حيث الرقى والأخذ بأسباب التمدن ، هو عين التقهقر والانحطاط ، لأننا في تمدنا هنا مقلدون للأمم الأوربية (١) . . .) وقوله (. . .) لا بد من حركة دينية وهى اهتمامنا بقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص ، من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى ، وبغير القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى (٢) .

وجمال الدين الأفغانى تظهر قدرته على الانقناع بعد المناقشة في شخصيته القوية ، فهو من ذوى الشخصيات الفذة التى تؤثر بالمنطق والنقاش ، مثل سقراط الذى كان يقنع طلابه بأرائه بالاستقراء والاستنتاج . وقد ظهر أثر جمال الدين واضحاً في طلابه ومريديه ، فوجههم الوجهة التى كان يراها سليمة فظهر أثره في محمد عبده ورشيد رضا وأديب اسحق وغيرهم .

(١ و ٢) يراجع خاطرات الأفغانى والاعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى لمحمد عمارة ص ٣٢٧ و ٣٢٨

وقد نادى عبد الرحمن الكواكبي بالاصلاح ، فى كتابيه « أم القرى » ، وطبائع الاستبداد . وقد عالج فى الكتابين الناحيتين السياسية والدينية وقد كان يربط بين الفكرتين فى كثير من الأحيان .

وقد هاجم الكواكبي الاستبداد مهاجمة عنيفة ، لأنه يفسد أخلاق الشعوب بعد أن يسلب أفرادها إرادتهم ، فيبيع المحكوم الكذب والخداع والتفاهق ويصبح الشعب عبداً مهاناً ذليلاً للحاكم المستبد ، وفى كتابه طبائع الاستبداد أبرز كلمات الاستبداد والاستعباد والاعتساف والتسلط والتحكم والحكام المطلق والظالم والجبار وجعل مقابلها الشرع المصون والحقوق المحترمة والعدالة . واشتق منها ، كلمات الاستبداد المستبد والمستبد عليهم ، وذكر معها أسرى وأذلاء ، ووضع مقابلها الآباة الأحرار ، وبرأ الدين الإسلامى من أعمال المستبدين لأنهم حكموا باسمه دون أن يطبقوا قواعده وفرق بين النفوذ الدينى وبين السياسة فقال :

« لا يوجد فى الإسلام نفوذ دينى مطلقاً فى غير وسائل إقامة الدين ، هذا الدين الحر السمع الذى رفع الإصر والأغلال وأباد الميزة والاستبداد ، الدين الذى ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها فى قبور الهوان ، الدين الذى فقد الأنصار والأبرار والحكام الأخيار ، فسطا عليه المستبدون واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعاً وجعلوه آلة لأهوائهم فضيعوه وضيعوا أهله (١) . »

وأرجو أن يدرس هذا الكتاب دراسة تفصيلية وتشرح ظروفه والبيئة التى كتب بها الكواكبي هذا الكتاب مع أم القرى لأن الكاتب وقف موقفاً صريحاً من المستبد ومن عبادة الفرد وبث فكرة الشورى

(١) طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد ص ١٩ - ٢٠ .

أو الديمقراطية ، وعنى بالشعب عناية واضحة وأراد الحرية له ، وأن يكون الشعب مراقباً أعمال الدولة وأن يحاسبها على الهفوات التي تقوم بها ، لأن الدولة عندما تأمن من الحساب والمراقبة ، تندفع لا شعورياً نحو الحكم الفردي والاستبداد ، وكلما كان للشعب أثر في الحكومات أمنت هذه الحكومات من الزلل ، والمستبد لا يخاف من العلوم الدينية المحضة لكنه يخاف كل الخوف من العلم والعلماء في الموضوعات الأخرى ، لأنه يرى نفسه أصغر من العلماء فلا يتقرب إليهم خوفاً من ذكائهم وقابليتهم ، وهو لا يجب إلا المتصاغر المتملق .

والدكتور شبلى شميل نظرات دقيقة في موضوع الإصلاح أشاع فيها وعياً بين الشعب وخاصة بين المتعلمين في عصره ، وأصبحت أراؤه مجالاً للدراسة والبحث ، فقد آمن بقوة الأمة وبضرورة الإصلاح وتحديث عن النظام الجمهورى لأنه نابع من صميم الشعوب .

ورأينا الدعوة للجمهورية في كتاب الزهاوى « المحمل بما أرى » (١) وقد اعتبر السعادة في النظام الجمهورى ، لأن في هذا النظام المساواة القائمة على حاجة الشعوب ، وقد كان الرصافي صريحاً عندما وصف استبداد السلطان العثماني ، وقال : وفي استبداده ابتعد عن جوهر الدين الإسلامى حتى يأمن إلى ملذاته ويركن إلى مصالحه الخاصة ، فقال من قصيدة فختار قسماً من أبياتها :

مثل الحكومة تستبد بحكمها	مثل البناء على نقا متهيل
يا أمة رقدت وطال رقادها	هبي وفي أمر الملوك تأمل
كم جاء من ملك دهاك بجوره	ولواك عن قصد السبيل الأفضل
يقضى هواه بما يسومك في الورى	خسفاً وينقم منك إن لم تقبلي

لأن الحكومة وهي جمهورية كسنت حماية قلب كل مضلل سارت إلى نجس العباد بسيرة أبدت لهم حق الزمان الأول (١) ولو قرأنا كتب هذه الفترة لوجدنا في (مجال الغرر) للشدياق، وتخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة رافع الطمطاوى، وعبرة وذكرى لسليمان البستاني، والمعلوم والمجهول لولى الدين يكن . وغيرها عن الكتب ، أرأينا الإجماع على ضرورة الإصلاح سواء أكان عن طريق الدين الاسلامى أم عن أى طريق آخر ،

وقد كانت حركات الإصلاح تقابل برد فعل من بعض المفكرين الذين اعتادوا الركود والخنول ، وصعب عليهم التخلي عن حياتهم التى اعتادوها وطارزها الذى ألفوه . ومن الصعوبة أن يتخلى الإنسان عن شئ شـب عليه فنار نقاش حول هذا الإصلاح وطريقة الدعوة إليه ، ولكن الملاحظ أن الدعوة إلى الإصلاح كانت تلازم الفكرة الوطنية، ولم يكن طلاب الإصلاح يريدون الانفصال عن الدولة العثمانية، حتى أعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ وبدأت حركة التتريك تدعو إلى العودة إلى أجداد المغول وتغيير أسماء الأتراك الاسلامية والعربية إلى أسماء مغولية وتركية قديمة ، ثم زاد الطين بلة أن جمعية الاتحاد والترقى التى كانت قد سيطرت على الحكم وعزلت السلطان عبد الحميد أخذت تفتك بالعرب ، وشنت رعيلا كريما منهم ، فى دمشق وبيروت فرأى العرب ضرورة الدعوة إلى الانفصال وتأسيس حكم عربى يؤمن لهم حياة كريمة ، وهم أصحاب المجد القديم وأرباب الخلافة وسدنة الدين الإسلامى، مما سنراه فى فصل تال ، أما التيار الفكرى الآخر فهو تيار العلم الجديد الذى أخذ يتسرب إلى الفكر العربى من خلال المقتطف والهلل وغيرهما من المجلات والكتب التى ترجمت إلى اللغة العربية النظريات الجديدة .

(١) ديوان الرضاى ص ١٦٢ ويراجع بحث لنا عن الاتجاه الاسلامى فى مجلة العلم الجديد الصادرة فى بغداد .

وعندما برزت الدعوة إلى العلم ظهرت دعوة جديدة معها ، هي الصراع بين الجديد والقديم وسرت المعركة الفكرية على الحياة المادية والاجتماعية والروحية وكثر فيها الجدل والنقاش ، فهل نأخذ من علم الغرب ونأثر به ؟ أم نتركه ؟ وقد برز في هذا الميدان عدة كتب وعدد من الكتّاب والشعراء وجرت هذه الدعوة إلى أن نظم الشعراء قصائد في التحجيز أو الهجوم . انتقلت هذه الدعوة من مصر إلى البلاد العربية وظهرت آثارها في إنتاج الأدباء . وبذلك فقد دخلت الحضارة العربية والشرقية صراعاً مع الحضارة الغربية .

ومن الأدباء من اندفع في التأييد وأنكر الحضارة العربية والإسلامية وكان يكتب وفي ذهنه أوربا ومنهم من زاده الغزو الغربي تمسكاً ببقايلده ومثله وقيمه ، وفريق ثالث أراد أن يأخذ من الجديد شيئاً ويبقى من القديم أحسنه وقد كان عبد الله النديم من الداعين إلى التمسك بالعادات الإسلامية الشرقية وهاجم أوربا وسخر منها ، ومن الذين يؤيدونها ويقلدون عاداتها وفي مجلتي (التبكيك والتنسكيت) و(الاستاذ) أمثلة على هذه السخرية وذكر ما جاء به المستعمر من الولايات على الشرق من فساد وانحطاط وموت الشخصية وهدر الكرامة . وألقى تبعة ذلك على زعماء مهز وقادتها الذين أفسحوا للهدنية الأوروبية هذا المجال (١) .

والذين حاولوا جلب المدارس الغربية والآراء الحديثة جلباً لم يجدوا القبول لأن أوربا أملت مذهبها عليها الحاجة الملحة إليها وبذلك نجد أن الأدباء قد ساروا في ثلاثة تيارات .

فريق سار على النسق العباسي والعصور الزاهرة باعتبار صحة ما سبق

(١) ظهر بعد النديم سلامة موسى ودافع عن أوربا وهاجم الدين الإسلامي والعروبة ومن وقف ضد هذه الدعوات المرحوم الرافعي لاحظ كتابه (تحت راية القرآن) .

واقْتَبَسُوا من هذه العصور التشبيهات والاستعارات والصور الشعرية، فتحدثوا عن أماكن لم يروها واستمطروا السحب ووصفوا الناقة من أمثال الكاظمي والبارودي، وفريق حاول الاستفادة من أوروبا مثل العقاد والمازني وشكري، وفريق وقف بين الأمرين كالرصافي وشوقي. وتميز هذا الفريق بالمحافظة على عمود الشعر وأراد تطويره في تودة خوف العثار.

وفي النثر ظهر هذا الصراع بين القديم والجديد في النقاش الذي قام بين مصطفى صادق الرافعي وطه حسين. فالرافعي متمسك بالقيم الموروثة، وطه حسين متجدد مطور وقد ربط الرافعي الصراع الفكري بالدين الاسلامي ورأى أن أية دعوة للجديد قد تمس اللغة وتمس المثل وبذلك فهمي تمس الدين ولذلك سمي كتابه الذي جمع فيه النقاش بينه وبين دعاة التجديد تحت راية القرآن.

ورغم الصراع الشديد بين القديم والجديد رأينا الحياة الأوروبية تؤثر تأثيراً واضحاً في حياة الفكر في البلاد العربية، فقد رأينا صدى الحياة المادية الأوروبية والفلسفية، تظهر في شعر الشعراء مثل أراء ديكرت (أنا أفكر فأنا موجود) ونظرية جيمس جينز في الفلك. ونظرية النشوء والارتقاء، كما ظهرت أسماء المخترعات الأوروبية الحديثة في الشعر الحديث وقد سميت العلوم الحديثة العلوم الدنيوية أو العلوم العصرية أو العلوم الحديثة.

ومن يدرس دواوين الشعراء في هذه الفترة يجد مصداق هذا القول، وسيجد هذه الأسماء محشورة حشراً في الشعر ونائية فيه رجراجة في سطره وإن كان لأوروبا من أثر فقد رجعت مثلنا وبدأ يتسرب الشك إلى كثير من قلوبنا وأخذ المفكرون يقارنون بين حالة الغرب وما عليه من تقدم وحالة العرب والشرق وما عليهما من تأخر وانقسام فاندفع قسم منهم في تأييد

للغرب، وتبرأ من الشرق ومن العرب من أمثال سلامه موسى، وبذلك وبند
الغرب ثغرة أو ثغرات جرت إلى تفتيت الفكر العربي والاسلامى ووضع
مثله وتقاليد مكنها .

ولا شك بأن النظريات الجديدة والاختراعات الحديثة فتحت الأذهان
على عوالم جديدة دعت المفكرين إلى التشكيك بالنظريات القديمة وقد
سرت هذه الظاهرة في الشعر ومن هؤلاء معروف الرصافي فقد قال :

والعلم قد انكر منهاجنا ولم بين أين هو المهيح
فرقت يا علم رداء لنا كنا ارتديناه فهل ترقع ؟
فجعتنا يا علم في أمرنا أمعتب أنت إذا نجزع
لقد طغت حيرة أهل النهى هل فيك يا علم لنا مردع ؟

أما محمد كرد علي فلم يرد من المقلدين للغرب أن يأخذوا كل شئ*
ولما عليهم اختيار ما يلائمهم ويلائم محيطهم . وقد شبه العلم الجديد
كالمائدة الخافلة بكل شئ* : فيجب أن نختار منها الصالح ، ونعني على الجليل
الجديد ازدراده هذه العلوم دون روية وعنايته بالسطحي من أمور أوربا
دون أن يتعمق في الموارد العميقة فقال :

وفشأت ناشئة لم تدر من العلم الحقيقي غير قشوره ، رشفت رشقة من
مورده ظننتها غاية ما يرتوى به المرتوون وراحت تعد المروق غاية التور
والازدراء على النبوات من آيات الحكماء ، والظعن في الشرائع من عمل
الجهابذة النحارير ، وانكار القديم مهما كان نفعه ، والتعلق بالحديث مهما
ضؤل قائله من دواعي النهوض والاستنارة (١) .

وقبل أن انتهى من هذا العرض السريع للتيارين لا بد أن أقول إن الآراء الأوربية التي نبعث من بيئة غربية ، يجب أن نأخذ منها ما يلائم المحيط العربي ، وأن نعيد النظر في النظريات والتقاليد الأوربية البحتة التي سيطرت علينا ، فإن كثيراً من الآراء التي وصلت بلادنا ما تزال تصطرع لتجد لها أرضاً تنبت فيها ، ولكن الفكر العربي أثبت حيوية الأمة العربية ، وأثبت قابلية التحيص التي ترد الزائف وتطرده من بيئتنا ، وسوف نقبل الصالح منها لأننا بطبيعة تكويننا مؤمنون بضرورة التطور والتجديد في جميع مجالات الحياة . ولا يضيرنا الأخذ من جميع الأمم والحضارات مما يلائم حاجتنا المعاصرة ، لأن الأمم تتفاوت في البيئات فعملينا أخذ ما نحتاجه وترك ما يسبب أضراراً في المجتمع .

الفصل الثالث

جذور الاشتراكية

نحن أمة حديثة العهد بالاشتراكية بمعناها الأوروبية الجديد في نظامها، رغم وجود جذور وأصول لها في المجتمع العربي القديم، والإسلامي. غير أن الاشتراكية اليوم أخذت طابعاً مميزاً، وفلسفة مرسومة.. وأخذت تؤثر أثرها الواضح في الفكر العربي المعاصر، وتعمل عملها في الحياة العامة.

أصل الاشتراكية :

فن أين جاءت كلمة الاشتراكية Socialism التي اشتق منها كلمة الاشتراكي Socialist ؟

هذا سؤال لم أجد له جواباً شافياً واضحاً. لأن جميع التيارات الفكرية والأدبية لا يمكن أن تظهر فجأة ولا بد أن تكون لها مهادت وبعد أن تنسرب الميانييع الصغيرة لتتكون رافداً كبيراً، وقد يكون القرن التاسع عشر مبدأ هذا الظهور وهذا ما رجحه الأستاذ كول أستاذ النظريات الاجتماعية في جامعة أكسفورد وحدد زمن ظهورها بسنة ١٨٠٣ في نص إيطالي لم يذكره لنا (١) ولكن الكلمة كان لها مدلولها الخاص، فهي أقرب إلى العدالة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي، لأن القرن التاسع عشر في أوروبا كان قرناً ظهرت فيه التيارات الإصلاحية جلية، وفيه تبلورت الرأسمالية وقضى على الزراعة وأصبح الفلاحون أجراء في المعامل، وفي هذا القرن بدأت

(١) رواد الفكر الاشتراكي ص ١٢ تأليف ج. د. ه. كول ترجمة منير البعلبكي

تتلور هذه الكلمة فعدت تعنى مذهباً اقتصادياً واجتماعياً ، نتيجة للظلم وللانحطاط وسوء المعاملة التي حلت بالإنسان الأوربي من جراء الثورة الصناعية ، فتنادى المصلحون إلى حل المشكلات الاجتماعية التي ظهرت في هذا القرن ، ومن كلمة Social يفهم معنى الاهتمام بقضية الإنسان ومجتمعه . فلا غرابة أن وجدنا أولئك المهتمين بالدعوة إلى إصلاح النظام الاجتماعي يسمون Socialists لأنهم وضعوها في الدرجة الأولى ، بالمقارنة إلى القضايا السياسية والاقتصادية والأدبية والفكرية .

ومن ثم تطورت هذه الكلمة وحددت معانيها حول نظام اقتصادي له حدوده ومقوماته . واحتضنت عدة جمعيات وندوات هذا النظام مثل جماعة سان سيمون (١) وجماعة أوين (٢) وجماعة فورييه (٣) . وكان هدفها أن يدير الحياة الاجتماعية المنتجون أنفسهم لإصلاحها ، لأنهم رأوا أن من العبث أن تتولى السياسة والمجاسن النيابية والوزارات إصلاح هذه المجتمعات . لأن إبعاد السياسة عن الحياة الاقتصادية خير سبيل لهذا الإصلاح (٤) .

فقد كان مفهوم الاشتراكية في بدايته إسعاد الشعب اجتماعياً ، وإصلاح أوضاعه بتوزيع الثروة والإنتاج على أبناء الشعب ، دون أن تكون للعمال امتيازات خاصة ولم يفكر المصلحون في الصراع الطبقي (٥) الذي جاء من جراء توسع الرأسمالية وشموخها ، بعد أن انتشرت المصانع والمعامل في أوروبا . وظهر بوضوح الغنى المفرط ، والتفاوت في المال بين العمال وبين أصحاب رأس المال ، لذلك نجدهم يطالبون بتحديد الملكية الخاصة ،

(١) النظام الاشتراكي ص ٦٩ وأسس الاشتراكية ص ٢٣ .

(٢) » » ٧٢ » » ٢٢ .

(٣) » » ٧٥ » » ٢٣ .

(٤) رواد الفكر الاشتراكي ١٦ » » ٨٠ .

(٥) » » ص ١٧ والنظام الاشتراكي ص ٨٠ .

واعلن مرد هذا المطلب إلى أن الطبقة التي كانت ما تزال تسيطر عديداً
أو انذاك هي طبقة الفلاحين الذين بقيت صلاتهم بالأرض وثيقة . .

أصل الشيوعية :

وحاولنا أن نجد متى ظهرت كلمة الشيوعية Communism وقد حدد
لها سنة ١٨٣٠ (١) إذ أن فكرة الشيوع جاءت من فكرة الملكية المشتركة
فقد استعملتها العصبة الشيوعية Communist league فيما بعد سنة ١٨٤٨
وظهرت واضحة في البيان الشيوعي Communist monefeste ثم انتشرت
الكلمة بين المفكرين وغدت تعني الاشتراكية، لأن الفكرة الشيوعية حملت
معها كلمة النضال الثوري إلى جانب الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، فقد
قال عنها انكلز إنها أقل خيالاً من غيرها .

وكل مذهب من المذاهب الإصلاحية، لابد من دواع لظهوره وبروزه
وكأما وجد صدى في نفوس الشعب كانت قواعده أرسخ في الرأي العام، ومتى
تبني المفكرون وقادة الرأي فكرة الإصلاح كتب لها الذبوع والانتشار .

وقد رأينا القرن التاسع قرناً استغل فيه الشعب أسوأ استغلال ،
وتعدى هذا الاستغلال إلى تشغيل الأطفال والنسوة والضعاف في المعامل
ولأوقات طويلة غير محدودة ، دون أن يكافئوا على مقدار الجهد الذي
كانوا يبذلونه ، وكانوا يعيشون عيشة البهائم ويتكدسون في أكواخ
تعافها النفس ، فرأى المفكرون في أوروبا أن الضرورة الاجتماعية تقتضى
وضع حد لهذا الاستغلال ، وانتقدوا الأوضاع السيئة التي حاقت بالعامل
والأجير :

(١) المصدر السابق ص ٢٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢١

ولست أزعج أنى وصلت إلى جذور الاشتراكية ، ولكنى أحسب أن هناك فترة غير محددة مرت بالإنسان ، كان المفكرون يتودون حركات الإصلاح الاجتماعى لتحسين أحوال الشعب ، قبل الثورة الفرنسية .

فقد وجدنا فى العقد الاجتماعى وغيره من كتب كتاب فرنسا مثل هذه الدعوات ، كما أن الفكر الإنكيزى لم يخل من دوافع إصلاحية ، فى كتابات فرنسيس Place وجون بيلرز Bailers آثار واضحة للدعوة الإصلاحية ، لتغيير أوضاع المجتمع الذى كانوا يحسون وطأة ثقله على الشعب .

والذى لا أشك فيه أن فكرة الاشتراكية ولدت حركة اجتماعية بحثة قبل الثورة الفرنسية ، ثم أخذت هذه الفكرة تتبلور وتتطور ، من فكرة إصلاحية أخلاقية تدعو إلى العناية بالفقراء ورفاهيتهم فى رفق وهودة ، إلى أن غدت ثورة جامحة ، ترمى إلى نزع الامتيازات التى كان يتمتع بها رجال الدين والنبلاء والإقطاعيون ، وبدأ الفلاح الفرنسى يشعر بأنه يجب أن يكون صاحب الأرض وأن يتساوى مع الطبقة العليا فى الحقوق والواجبات السياسية ، ولما انتشرت الدعوة أضافت إليها مشكلة نتجت عن الاضطراب الاقتصادى الذى حدث خلال الثورة الفرنسية ، هى ضرورة إيجاد العمل للعمال المتعطلين (١) ، وكانت مطالبهم واضحة ، وهى تفتيت الملكيات الزراعية الكبرى وإلغاء الابتزازات الإقطاعية ، وإبطال الامتيازات وحقوق الملكية الضخمة التى اكتسبتها الكنيسة مع الأيام ، بيد أنهم كانوا يهدفون إلى نشر الملكية الخاصة بين الفلاحين ، ولم يطالبوا بالقضاء عليها . وبالفعل فقد ألغت الثورة الامتيازات ودعت إلى المساواة أمام القانون (٢) .

ولاحظنا أن الاشتراكية اقترنت بالثورة الفرنسية ومصاحب

(١) كول ص ٢٩

(٢) المصدر نفسه ص ٣٠

الاشتراكية القضاء على الملوك والثورة على الدين المسيحي ونشر الإلحاد .

البلاد العربية ، وجمال الدين الأفغانى :

وقد وصلت هذه الحركة الفسكرية البلاد العربية ، وتصدى لها جمال الدين الأفغانى ، ولم تكن هذه الفسكرة واضحة المعالم في ذهنه أول الأمر أو أنها لم تكن واضحة الوضوح التام في عصره لذلك سمى القائمين بها السوسيلست (الاجتماعيين) والنهيلست (العدميين) و الكمونيست (الاشتراكيين) واعتبر كل هذه الحركات متفقة في المظاهر ولكنها لونت أغراضها بما يوهم المخالفة للآخرى ، وأنها زينت دعواها بأنها ستمد الضعفاء والمطالية بحقوق المساكين والفقراء ، ثم يذكر جمال الدين غايات هذه المذاهب الثلاثة وأصحابها فيقول إلا أن غاية ما يطلبون إنما هو رفع الامتيازات الإنسانية كافة ، وإباحة الكل للكل وإشراك الكل في الكل ، وكم سفكوا من دماء ، وكم هدموا من بناء ، وكم خربوا من عمران ، وكم أثاروا من فتن ، وكم أنهروا من فساد ، كل ذلك سعياً للوصول إلى المطالب الخبيثة (١) . . . ولم يرمهم إلا قوماً يريدون الفساد والتخريب في الأرض فهاجمهم لأنهم يهدمون الدين والملك ، وقد ساءت له عمليات الفتك بالملوك والأغنياء التي كانت تصاحب حركاتهم (٢) .

ولم يكتف جمال الدين الأفغانى بالهجوم على المذاهب المذكورة إنما هاجم فولتير وروسو ، ورأى أن كتاباتهم سببت أزمات في فرنسا ، وأفسدت أخلاق كثير من أبنائها وكان من جراء ذلك أن تطاحن الشعب واختلقت المشارب فيه . واتسعت شقة الخلاف بينهم وقد كان الشعب الفرنسى متحدا

(١) الرد على الدهريين . جمال الدين الأفغانى القاهرة ص ٦٧ و ٦٣ ط ١٩٤٧ .

(٢) المصدر السابق .

قبل ظهور كتاباتهما (١) ، ورأى أن ظهور هذه المبادئ كانت سبباً في إفساد البيئة الاجتماعية ، وتزعزع أركان المدنية ، وقال : (وليس من ضرور الباطل ، ماهو أشد منها تأثيراً في نحو الفضائل ، وإثارة الخبائث والذائل (٢))

وفي خاطراته يراها ضرراً بعد أن كانت نفعاً ، ويرى أنها وجدت للانتقام من جور الحكام ، وحسد العمال من الأغنياء الذين اكتنزوا المال واستعملوه في السفه وبذروه تبذيراً ولولا إفراط الأغنياء في جمع المال ونبذ حقوق العمال والفقراء لما ثاروا عليهم ، وعندما اعتنقوا الاشتراكية ظهرت الفوضى في أمرهم ، ورأى أن الاشتراكية في الإسلام ألصق بجوهر الدين (٣)

وليس من يلوم جمال الدين على هذا لسبيين: الأول مرافق هذه المبادئ من إراقة للدماء ، وعدم وضوح الفكرة أو انذاك ، وهذا برنارد شو نفسه الذى يعرف البيئة الأوربية أكثر من جمال الدين ، وبعد جلاء الفكرة الاشتراكية ووضوحها ، يقول : (إن عامة أفراد الطبقة الوسطى يعتقدون أن الاشتراكية عملية غير نزيهة بشكل صارخ ، وأنها لا يمكن أن تتحقق في الغد إلا بطريقة ارتجالية مع الاستعانة بالمقصلة ، وعدم وجود شرطة ، والاعتماد على نذالة الجماهير (٤) .

برنارد شو :

وبرنارد شو اشتراكى له كتب فيها وله جمعية تبنت هذه الفكرة وقد رسم الطريق الذى يريد أن تأتى به الاشتراكية ، فقد أرادها أن تصدر عن رغبات الشعب ومن صميم المجتمع ، لأنه لا يرى في الاشتراكية إلا مذهباً

(١) المصدر نفسه ص ٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧١ .

(٣) خاطرات الأنفاني ص ١٨٩ و ١٩٠ لمحمد باشا الخزومي بيروت ١٩٣١

(٤) مقالات في الفاية ص ٧١ .

يجب أن يقتنع الناس به، وألا يفرض على الشعب فرضاً فقال: (والواقع أن الاشتراكية نزيهة، إلى جانب كونها حتمية، ولكن إذا كان جبروت الشرطة لا يستطيع صد الاشتراكية، فإن اجتماع رعا العالم كله، ومقصلات العالم كله لا يمكن أن تفرض الاشتراكية فرضاً) (١) وبذلك فقد أراد شو التدرج في نشر الاشتراكية وتطبيق مبادئها بجعل الإيجارات والفائدة في يد الدولة ولكن على شكل دفعات (٢) توالى بعضها بعضاً، ولا يريد أن يفرض بالقوة.

انكثرة :

وإذا أردنا أن نوغل حتى نصل القرن الخامس عشر والسادس عشر حيث الآلة، وحيث النهضة الصناعية التي بدأت في انكثرة نجد الفلاحين في مزارعهم وأصحاب الحرف اليدوية في مصانعهم الفردية يتحولون إلى عمال وأجراء في المعامل، التي قامت من جراء الثورة الصناعية لأنهم لم يقدرُوا على مقاومة الآلات الضخمة التي أخذت تنتج أضعاف ما ينتج الفرد، وبسعر أرخص ووقت أقصر، وأخذت أموال الرأسمالية في التضخم، وبدأت حالة العمال تسوء يوماً بعد يوم.

ثم تأسست شركات للصناعة والملاحة لنشر البضائع وبيعها، وبدأت الرأسمالية، تشمخ وحصرت الثروات الكبيرة بيد جماعة من الأغنياء وأخذت الملايين طريقها إليهم.

والتحول من الزراعة إلى الصناعة والقضاء على الإقطاع والتقدم الرأسمالي أمور حتمية في مسيرة التاريخ الإنساني اقتضاها سير المجتمع البشري

(١) مقالات في الغاية ص ٤١ .

(٢) مقالات في الغاية ص ٤٤ .

كان القصد منها تحرير طبقة وتحول المجتمع إلى حياة جديدة ، فالرأسمالية بالقياس إلى ما قبلها من العصور خطوة تطورية وفكرة تقدمية أخذت المجتمع كله وطورته وأعانتها معاونة كبيرة ، فسيطر على أمور في الطبيعة وقوى لم يكن قادراً عليها من قبل بل كان يخافها .

والدول الرأسمالية مسروقة ومحدودة العدد ، في أوروبا وأمريكا وكندا ، فلا نعجب أن نجد لينين يعتبر الرأسمالية أمراً حسناً ، فقد قال :

إننا أغبياء وضعفاء ، وقد تعودنا على القول بأن الاشتراكية شيء حسن ، ولكن الرأسمالية ليست سيئة إلا بالنسبة للاشتراكية ، أما بالنسبة للقرون الوسطى حيث لا تزال روسيا متأخرة فليست الرأسمالية سيئة (١) .

النظام الرأسمالي :

والنظام الرأسمالي له جوانب اقتصادية وفلسفة خاصة به تتبعها الجوانب الاجتماعية والسياسية ، وهذه أمور لا يمكن النخيل عنها مرة واحدة ، ومتى حللنا عناصرها نجد أن الإقطاع قد تحول إلى الدولة وأن سيطرة الأسرة وشيخ القبيلة تسلمتها الدولة ، ويمتاز النظام الرأسمالي بأنه يترك النشاط الاقتصادي ينمو ويتوسع وله حرية مطلقة في التوسع ، وما على الدولة إلا أن تتدخل عندما ترفع الظلم وتبعد الإساءة ، ويكره الدكتاتورية الفردية لأنها تضر بمصالحه القائمة على احترام الفرد والاعتزاز بكرامته ، ومتى تدخلت الدولة في هذا الأمر فقد حرمته حق الحياة وحرية العمل (٢) ، وقد صعب النظام الرأسمالي تقدم سريع في كل وسائل الإنتاج وتطوير فعال

(١) النظام الاشتراكي تأليف راشد براوى ص ٤٦ و ٤٧ القاهرة سنة ١٩٥١ وأسس الاشتراكية العربية ص ٨٤ .

(٢) البراوى ص ٤٧ — ٤٩

في الأدوات ، وارتفع مستوى الحياة وتقدم الإنتاج تقدماً ملحوظاً .
استغلت الطبيعة ومواردها .. فيه أحسن استغلال .

وكان من جراء الرأسمالية ظهور الطبقات المتوسطة (البرجوازية)
والتي كان لها أثر كبير في حركات وحدة الشعوب ، والتخلص من الاستعمار
والإقطاع وقيام النظم الديمقراطية في شكل مجالس الأمة ..

وساعدت الرأسمالية في نشر المدنية في بقاع لم تصلها يد العمران ، وقضت
على جوانب كثيرة من التخلف ، وزرعت الحركات القومية في الأقطار
المتأخرة .. وعندما احتاج الرأسمالي إلى المواد الأولية أخذ يفكر تفكيراً
عالمياً ، فلم يفكر بالاكتفاء الذاتي للأمة وإنما غزا العالم لنشر بضاعته وشراء
المواد الأولية ، وبذلك ذهبت مع البضائع الحضارة الجديدة ، وتوطدت
علاقات كبيرة بين أبناء العالم .

نخرج الناس من عصر الزراعة إلى عصر الصناعة والإنتاج . وقد شهد
البيان الشيوعي بفضل الطبقة الرأسمالية والبرجوازية فقال : (وباستثمار
السوق العالمية تصبغ البرجوازية الإنتاج والاستهلاك في كل الأقطار بصفة
عالمية (١) وتزرع من الصناعة أساسها الوطني المحلي ، بين يأس الرجعيين
وقنوطهم ، فتتقرض الصناعات الوطنية العتيقة ، أو تصبح على وشك
الانقراض ، وتخلي مكانها لصناعات جديدة يصبح إدخالها وتعميمها مسألة
حيوية لكل الأمم المتقدمة ، صناعة لم تعد تستعمل المواد الأولية المحلية ،
بل المواد الأولية الآتية في أبعد المناطق وأقصاها التي لا تستهلك منتجاتها
في داخل البلاد نفسها فحسب بل في جميع أنحاء المعمورة) (٢) .

وبذلك فقد حلت الرأسمالية الصناعية جانباً من مشكلات النظام

(١) مترجمة كوسوبوليتية .

(٢) البيان الشيوعي ترجمة خالد بكداش منشورات الفارابي في دمشق ص ٢٩ .

الإقطاعي . ثم تحدث البيان الشيوعي عن جانب آخر من فوائد الرأسمالية فقال : وتولد بدلا من الحاجات القديمة التي كانت تكفيها المنتجات الوطنية حاجات جديدة تتطلب لكفائها منتجات أقصى الأقاليم وأنأى الأقطار ، ولا قيمة ثمة للأمم أو مقاطعات منعزلة تكفي نفسها بنفسها ، بل تتطور التجارة العالمية وتصبح الأمم متعلقة بعضها ببعض أشد التعلق ، وما يقال عن الإنتاج المادي ينطبق على الإنتاج الفكري ، فوَلَفَات كل أمة تصبح ملكا مشتركا لجميع الأمم ، ويصبح من المستحيل أكثر فأكثر على أية أمة أن تظل محصورة في أفقها الضيق ، ومكتفية به ، ويتألف من مجموع الآداب القومية والمحلية أدب عالمي (١) .

وبرهن البيان على فائدة الرأسمالية والبرجوازية ومقدار ما بذلته من جهد في تمدن الشعوب المتأخرة وتقديمها فقال :

وتجر البرجوازية إلى تيار المدنية أشد الأمم تأخرأ وهمجية ، تبعاً لتقدم أدوات الإنتاج ووسائل المواصلات وسرعة إتقانها ، فإن رخص منتجاتها ، هو في يدها بمثابة مدفعية ضخمة تقتحم وتحرق كل ما هناك من أسوار صينية ، وتنحني أمام رؤوس أشد البرابرة عداً وكرهاً للأجانب .) وعدد فوائد الرأسمالية في إنشاء المدن الكبيرة ، وقضائها على بعثرة وسائل الإنتاج والملكية والسكان ، واضمحلال المقاطعات المستقلة نحو وحدة أكبر ، وذهاب الحدود السمركية ، واختصر الأمر بقوله :

(بل جمعت كلها ودمجت في أمة واحدة ، ومصلحة قومية طبيعية واحدة ، وراء حاجز كمركي واحد) ومن فضائلها أنها أخضعت الطبيعة واخترعت الآلات وأخضعت القارات البور وشقت الترعر (٢) .

(١) البيان الشيوعي ص ٢٩

(٢) البيان الشيوعي ص ٢٩ / ٣٠

لهساوى الرأسمالية :

ولكن الرأسمالية لا تنقف عند حد فائدة الشعوب لأن غايتها الأولى المال ، والحصول على المال بكل طريق وبكل وسيلة ، ومن كان هذا ديدنه لايهمه العدد الأكبر من الناس فكان من جراء هذه الغاية أن سببت الرأسمالية كثيراً من الأزمات العالمية والحروب المستمرة من أجل الحصول على المواد الأولية ودعم الصناعة وتكديس الأموال ولا يهمها إرافة دماء البشر في سبيل بناء كيائها الاقتصادية وسعادة الرأسمالى ، وبعد الحروب التى تسببها الرأسمالية تنشر الأمراض والبطالة وبحكم مركزها وقوة نفوذها تؤثر تأثيراً عميقاً فى إفساد نظام الحكم والإساءة إلى الجماهير عندما تريد أن تحمى مصالحها وتحتكر السلع للاستفادة من ارتفاع الأسعار (١).

والرأسمالية بنظر الشيوعية نظام يودى إلى إفقار الأكثية الساحقة من العمال وكلما نمت وتطورت ازداد ثراء جماعة قليلة من الأغنياء ، وأدى هذا الغنى إلى ازدياد الفقر بين عدد كبير من العمال . . . ويبلغ الفلاحون فى ظل الرأسمالية الحضيض ، لذلك فهم نظام معاد لمصالح جماهير الشعب من القمة إلى الأخص وهو نظام استثمار العمال واضطهادهم وهو نظام مفروض بالعنف من قبل حفنة تافهة من الأغنياء على الشعب العامل الكادح (٢) ، ولا بد يوماً أن تنتهى الرأسمالية وتسيطر الشيوعية عليها ، وإذا لاحظنا البيان الشيوعى وشرح ماركس وانكز وجدنا البيان يرى أن الرأسمالية البرجوازية لها جانب سلبي إضافة إلى الجانب الذى ذكرناه ، فإذا قضت على الإقطاع ، ودعت إلى نمو الصناعة ورقيا وازدهارها ، ونشرت المدنية والحضارة فى

(١) يلاحظ آراء سيموندى عن الأزمات الاقتصادية وآدم سميث عن المذهب الحر وآراء سان سيمون فى كتب الاقتصاد .

(٢) ماهى الإمبريالية تأليف إرزمانيان ترجمة خلدون عن الألمانية مطبعة الرابطة بغداد

كل مكان ، إلا أنها أخذت تستفحل وغدت قوى هائلة لا يمكن أن يُفهم الإنسان أمام تيارها العاتق المدمر ، والرأسمالية كان همها الوحيد رأس المال دون العناية بالبشر ، فتغلبت المصلحة الفردية ولم تبق بين البشر إلا بجرأ من الأعداد والأرقام جامدة وأصبح الإنسان سلعة من السلع التي تستغلها لمصلحتها الخاصة ولإنماء ثروة الرأسمالي .

وقال ماركس وانكلز :

(وحطمت الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الإقطاعية تربط الإنسان بساداته الطبيعيين ، حطمتها دون رأفة ولم تبق بين الإنسان والإنسان إلا صلة المصلحة الجافة والدفع الجاني نقداً وعداً ، وأغرقت الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في حياة الحساب الجليدية المشبعة بالأنانية وجعلت من الكرامة الشخصية مجرد قيمة تبادل لا أقل ولا أكثر وقضت على الحريات الجمة التي كلف تحقيقها ثمناً غالياً وأحلت محلها التجارة وحدها ، هذه الحرية القاسية التي لا تشفق ولا ترحم فهمي بالاختصار أبدلت الاستثمار المقنع بالأوهام الدينية والسياسية باستثمار شائن مباشر فظيع (١) .

إن هذا القول صادر من محيط أوروبا إذ قد استشرت البطالة بين الناس عندما اخترعت الآلات ولما انضم العمال إلى المصانع استغلهم الرأسمالي أسوأ استغلال وأبشعه فكان يؤس العمال مدعاة دعا المصلحين إلى إيجاد حلول لإنقاذ هذه الآلاف من العمال المتعطلين أو العمال البائسين وغدا الجوع شبحاً يخيف الجماهير ثم انخفضت الأجور مما أدى إلى تدهور مستوى الشعب ، وكان من جراء الأزمات المالية وتكررها حرق فائض الإنتاج حتى لا يفيض

السعر وأصبح العامل يعمل سبع عشرة (١٧) ساعة في اليوم ويعيش في منزل تأباه الحيوانات ، كل هذه الأمور التي تفشت في أوروبا وجدت فيها الاشتراكية تربة صالحة ، إذ تنادى المصلحون إلى ضرورة إصلاح هذا الشعب وإنقاذه. وبحشوا عن أسس وآراء جديدة تنقذ المجتمع الأوربي من هذا الدمار.

والاشتراكيون مجمعون على انهيار الرأسمالية (١) عندما بدأوا يرون تراكم مشكلاتها ، وعدم تساهل الرأسمالي وإيغاله في مصالحه الفردية وفي تنمية رأس المال . غير أن هذا السلطان الحديدي بدأ يلين وبدأت حدة الإشراف القاسي الرهيب على العمال والمعامل تفت وتخف مع الأيام ، مع نمو الوعي ضد الرأسمالي . وانتشار الآراء الاشتراكية جعلت الرأسمالي يفكر في الحفاظ على قسم من موارده المالية خوفاً من أن يفقدها جميعها بعد أن ظهرت قوة العمال في التكتل والتنظيم ، وبدأت تعمل عملها الواضح الجلي في الإنتاج وزعزعة مركز الرأسمالي ، فقد تبدلت أمور معاملة العمال والموظفين والمتقاعدين وشرعت قوانين تصون حقوقهم في حوادث العمل ، واختفت أتوقراطية صاحب المعمل وقساوته (٢) وسرت تيارات الإصلاح بين العمال ، واختلقت العلاقات بين صاحب رأس المال والعمال اختلافاً ظاهراً . فقد قال كروسلاندر إن المجتمع الرأسمالي يختلف كل الاختلاف عن المجتمع القديم في صورته وشكله عن الرأسمالية التقليدية لا في النواحي الاجتماعية والاقتصادية بل في جميع النواحي الأخرى (٣) ومع هذا التقدم في معاملة العمال وهذا التطور الواضح الملموس بالنسبة لحالة العمال في القرن التاسع عشر، فلم ينل العمال في انكلترا وأمريكا حقوقهم كاملة لأن حقوقهم بالنظر الاشتراكي هي أن يصبحوا هم أصحاب وسائل الإنتاج كله (٣) .

(١) أسس الاشتراكية ص ٢٢ .

(٢) مستقبل الاشتراكية تأليف كروسلاندر ص ٢٣ و ٣٧ و ٣٩ و ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٦ و ١١١ (الاشتراكية - ٤)

ماركس :

ولاشك في أن أهم واضح لأسس الاشتراكية ، هو ماركس في كتابه رأس المال وقد أراد المفكرون في كل الأقطار الأخذ بنظريته ، وللماركسية إغراء عام في بساطتها منهجاً ، وصلابتها النسبية نظرية ، وهي نظرية جاهزة تغني عن كد الذهن والإبداع في عالم الإصلاح الجديد تغري أكبر عدد ممكن من الجماهير وعلى المستوى العالمي ثم إن النظرية الاشتراكية تبدلت من إصلاح اجتماعي يراد به إنقاذ حالة الفقراء والمعوزين إلى خلق دولة تتولى هي القيام بالخدمات الاجتماعية وتقضى على الفقر والعوز الذي يعانيه أكثرية أبناء الشعوب وتحاول أن تغطي أوسع المجالات في توزيع الثروة وحماية العمال من فتك البطالة وتؤمن لهم الطمأنينة والاستقرار . . وما تبني المفكرون تحطيم رأس المال بالقوة إلا بعد أن قاوم الرأسمالي حركات الإصلاح ولم يرض أن يوقف من سلطانه غير المحدود خاصة أن أنظمة أوروبا وقوانينها كانت قد صيغت لحماية الرأسمالي ومصالحه (١) . . فلانعجب أن نرى جماهير العمال والمحتاجين ينشرون هذه الآراء بل يستميتون في الذود عنها لأنها صيغت لتلائم مصالحهم وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي استشرى بعدها رأس المال ووصل إلى الملايين ، وقد أيد البيان الشيوعي كل حركة ثورية تقوم ضد النظام القائم في كل بلد فقد جاء فيه : ولأن الشيوعيين يؤيدون في كل قطر من الأقطار كل حركة ثورية ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم ، وفي كل الحركات يضعون في المقدمة مسألة الملكية باعتبار أنها المسألة الأساسية في الحركة مهما كانت الدرجة التي بلغت هذه الملكية في تطورها ، (٢) .

(١) مستقبل الرأسمالية ص ١٨ ج ١

(٢) البيان الشيوعي ص ٢٩

وَقَدْ كَانَ الْبَيَانُ صَرِيحاً وَوَاضِحاً بِهِدْمُ هَذِهِ الْأَنْظُمَةِ بِالْقُوَّةِ وَالْعَنْفِ
فَقَالَ « وَلَا يَتِمُّ دُنَى الشَّيُوعِيِّينَ إِلَى إِخْفَاءِ آرَائِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ وَمَشَارِعِهِمْ بَلْ
يَقُولُ صِرَاحَةً إِنَّ أَهْدَافَهُمْ لَا يُمْكِنُ بُلُوغُهَا وَتَحْقِيقُهَا إِلَّا بِهِدْمِ كُلِّ النِّظَامِ
الاجْتِمَاعِيِّ الثَّقَلِيدِ بِالْعَنْفِ وَالْقُوَّةِ » (١) .

وَهَذِهِ الرَّأْيُ نَتِيجَةُ حَتْمِيَّةِ لِلْعَصْرِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ مَارْكَسُ وَانْكَلَزُ ، فَقَدْ
كَانَتِ الرِّأَسْمَالِيَّةُ الصَّنَاعِيَّةُ فِي أَشَدِّ عَتُوِّهَا وَغُرُورِهَا وَكَانَ الصَّرَاحُ مَرِيراً
بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَمَالِ ، وَهِيَ النَتِيجَةُ الَّتِي تَصْلُحُهَا الرِّأَسْمَالِيَّةُ فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ ،
فَقَدْ تَطَوَّرَ الْفِكْرُ الْإِنْسَانِي تَطَوُّراً وَاضِحاً وَبَدَأَ الْإِنْسَانُ يَمِى كَيْفَ يَسْتَغْلِ
الْإِنْسَانُ أَخَاهُ الْإِنْسَانُ . وَقَدْ تَبَدَّلَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفَاهِيمِ وَالْمَثَلِ الْقَدِيمَةِ عِنْدَمَا
بَدَأَتِ الرِّأَسْمَالِيَّةُ فِي مَصَادَرَةِ حُرِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَرْفِ الْيَدَوِيَّةِ ، وَقَضَتْ عَلَى
مَنْعِهِمْ وَاسْتَعْدَمَتْهُمْ أَجْرَاءُ ، كَمَا صَادَرَتْ حُرِيَّةَ الْفَلَاحِينَ وَأَصْبَحُوا عَمَالاً
وَضَاعَتِ قِيَمَةُ الْعَمَلِ الْيَدَوِيِّ الْفَرْدِيِّ ، لِذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْحَرْفِيُّ قَادِراً عَلَى مِزَاجَةِ
الآلَةِ فَتَحَوَّلَ سُكَّانُ الْمَدَنِ إِلَى طَبَقَةٍ جَدِيدَةٍ هِيَ الطَّبَقَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ
وَاسْتَوْلَى قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ عَلَى السُّلْطَةِ وَسَرَى الْجُوعُ وَالْعُوزُ وَالْفَاقَةُ بَيْنَ
الْعَمَالِ ، فَلَا عَجَبَ أَنْ نَرَى الصَّرَاحَ الطَّبَقِيَّ بَدَأَ فِي أَوْرُبَا بَيْنَ الْعَمَالِ وَأَصْحَابِ
رَأْسِ الْمَالِ .

وَقَدْ أَخَذَتْ رُوسِيَا بِالنِّظَامِ الْإِشْتِرَاكِيِّ وَطَبَقَتْهُ عَلَى بِلَادِهَا ثُمَّ سَارَتْ
الصِّينُ فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهُ وَأَصْبَحَتْ الْآرَاءُ الْمَارْكَسِيَّةُ قَاعِدَةً لِلْإِصْلَاحِ الْاجْتِمَاعِيِّ
وَنِظَاماً لِلْحُكْمِ فِي دَوْلَتَيْنِ مِنْ أَكْبَرِ دُولِ الْعَالَمِ .

الفصل الرابع

وأخذوا يبحثون عن نظام يوحد شملهم ، وينقذهم من الجهل والتفريق والمرض . وتساءل الكتّاب والمفكرون :

هل نأخذ بالنظام الاشتراكي ؟ أم نسير في ظل النظام الرأسمالي ؟

وكان الشرق العربي قد أخذ بالتيارات الاقتصادية الغربية ، وما فيها من وسائل الإنتاج المادية الجديدة ، وجر ذلك إلى تنظيمات الحياة الاقتصادية وفق نظامها ، نتيجة للنظريات السياسية والاجتماعية ، التي سيطرت على الفكر العربي من جراء انتشار الكتب ، ووسائل الطباعة الأخرى ، وصلات الحكم بالفكر الرأسمالي الأوربي ، واعتناق أساتذة الجامعات ، والمفكرين لهذه النظريات .

غير أن النظام نفسه كان سبباً في استعمار بلادنا ، وامتصاص ثرواتها ، وتصديرها إلى الغرب ، كما أن العالم الغربي جر علينا الولايات ، والنكبات . فكان مدعاة خيبة أمل عميقة في النفوس .

والتفت العرب باحثين عن نظام جديد يريدون فيه توحيد شتاتهم ، ورفع مستواهم الاجتماعي ، فأروا النظام الاشتراكي الذي وحد عدة شعوب تنطق بلغات عديدة في جمهوريات الاتحاد السوفياتي . والعرب أمة واحدة وفكر واحد ولغة واحدة . فداعب النظام الاشتراكي خيالهم العذب وهتفت به أمانيتهم وآمالهم ، وأكد قوة هذا النظام وجدواه اتحاد الصين على اتساع رقعتها ، واختلاف لغاتها ، وتباين شعوبها ، التي وصلت (٧٠٠) مليوناً تحت ظل هذا النظام ، وطردت من بلادها سبعة دول رأسمالية كانت تستعمرها وتستغلها أسوأ استغلال وأبشعه .

إن المظاهر المادية والسياسية التي وجدها المفكرون في كل من روسيا والصين أغرت كتاب العرب وساستهم على الأخذ بالنظام الاشتراكي ،

ومحاولة تطبيق ما يصلح لبلادنا منه بعد أن أخفق النظام الرأسمالي في بلادنا
وجر علينا الإقطاع والاستعمار والتخلف والانقسام ، وخلق الاستعمار
الرأسمالي ، حكومات وإمارات في أرجاء الدنيا العربية .

والعرب من الأمم العريقة، ولها تاريخ عريض حافل بالحضارة، وآخر
بالمدينة ، غنى بالتراث الفكري والروحي والاجتماعي . ويسند هذا التراث
مقومات الدين الإسلامي وتعاليمه . . الذي عاش العرب في ظله في رفاة
واتسعت عن طريقه آفاق نشر أفكارهم ، حتى شملت أكثر بقاع العالم
القديم . .

ولما ظهرت وجهة نظر جديدة لتحقيق الأماني العربية ، ثار نقاش
حول الطريق الذي يجب أن يسير عليه الإصلاح .

فهل يرجع العرب إلى الدين الإسلامي ، وإلى تعاليمه ويصلحون واقمهم
المزمتخلف ؟ أم يأخذون بأراء كارل ماركس ولينين ، للسير في طريق
الإصلاح الاجتماعي ؟

رأينا قسماً من المفكرين رفض رفضاً باتاً الأخذ بهذه النظريات
باعتبارها نظريات غربية لانصلح للعرب ، ورأينا قسماً آخر أراد الأخذ
من هذه النظريات ما يلائم البيئة العربية ، وتعريب ما بقى منها وخلق
اشتراكية جديدة سميت بالاشتراكية العربية ، ورأينا فريقاً ثالثاً أراد
أن يأخذ الاشتراكية العلمية ويطبقها بحذافيرها على المجتمع العربي . فنار
الصراع الفكري وكثر النقاش ، وألفت في سبيل دعم هذه الآراء
الكتب المختلفة . .

ولاحظنا أن النقاش كان يدور حول هذه المفاهيم ، والمثل والنظريات
الإقتصادية وضرورة تطويرها ، لتواكب الحضارة الجديدة ، لأن الأسلوب

الواحد الذى تحل فيه مشكلات شعب ، لا يمكن أن يكون أسلوباً تحل به مشكلات شعب آخر ، يعيش في ظروف اجتماعية واقتصادية تغاير ذلك الشعب . ولكل شعب أهداف وغايات تختلف حضارياً وفكرياً باختلاف الشعوب ، فيجب أن تكون الحلول نابعة من المشكلات التى يعانها الشعب نفسه ، وأن تكون متطورة بتطور الزمن الذى تنبع منه تلك المشكلات .

الدين الإسلامى :

والذين اعتمدوا على إصلاحات الدين الإسلامى عادوا في إنتاجهم إلى الإسلام وتعاليمه . فرأوا أن أسلوبه في حل مشكلات المجتمع ، وقيمه الإنسانية ، سارت التطورات الحضارية في العالم ، وقالوا إن الفكر العربى استوعب في أرقى عصوره وأزهارها كثيراً من الفلسفات الأجنبية ، والسياسات التى عاصرتة ، فتقبلها وناقش ما لا يلائمه بصدر رحب ، وأفق واسع . والدين الإسلامى اعترف بحق الجماهير ، وأعطى السواد الأعظم نصيبه الكامل من الحياة الكريمة ، ولم يخلق امتيازات طبقية في الشعوب ، ولم يجعل فضلاً لأمة على أمة . فقد ساءى العرب حملة الدعوة الإسلامية مع غيرهم من الشعوب .. فلماذا لا نرجع إلى القيم الإسلامية والمثل العربية ؟ ونتخذها قاعدة للإصلاح الاجتماعى المعاصر ؟

أما دعاة الاشتراكية الغربية ، فهم يرون أنها أثبتت جدارتها وتجلى نجاحها في الإصلاح ، وأن العرب في حاضرهم أمة فقيرة ضعيفة متفرقة جاهلة تسرب إلى تراثهم الحضارى كثير من مفسدات القرون ، ولم تبق المقومات الإسلامية ، والمثل العربية على نصاعتها الفكرية . فينبغى أن يقوم البناء العربى على أسس جديدة ، ليجارى تطورات الفكر الحديث ، والحاجات الحضارية المعاصرة في الاقتصاد والسياسة والتجارة .

ومن الطريف أن أذكر لكم ونحن نتحدث عن العدالة الاجتماعية ،
أورفع مستوى الشعب، أو الاشتراكية ان قسما من مفكرى الغرب يعتبرون
العدالة الاجتماعية الاسلامية ، خير نظام يصلح للشعوب لأن عدالة العرب
بعدت عن خطايا الغرب فقد قال الاقتصادي الفرنسى فردريك لوبيه
Ia Play عن القرن التاسع عشر: (لقد صان العرب أنفسهم من مثل خطايا
الغرب ، فيما ريمس رفاهية طبقات العمال ، وهم الآن ما يزالون يحافظون
بإخلاص على تلك النظم العادلة ، التى سنوها والتى يسود فيها السلام بين
الغنى والفقير ، وبين السيد واللاجير ، وليس من المبالغة فى شىء من القول
بأن ذلك الذى يزعمه الأوروبيون أنهم يرغبون فى إصلاحه ، وتمدينه هو فى
الحقيقة خير مثال يقتدون به فى ذلك (١) .

ومن أهم الكتب التى ألفت فى دعم فكرة الاشتراكية الإسلامية
أو أغناها وأكثر إحاطة بالموضوع ، أو استيعاباً لهذه الفكرة ، كتاب
المرحوم مصطفى السباعي، ويمكن أن أعرض لكم فكرة الكتاب التى استند
فيها على القرآن الكريم وعلى أحاديث الرسول وأعماله .

والذى لا مجال فى مناقشته. أن الاشتراكية تستهدف معالجة مشكلات
الفقر والجهل ، أو الضمان الاجتماعى للسواد الأعظم من الأمة ، أو الشعب
بصورة أجلى ، وقد حل الدين الإسلامى هذه المشكلات ، وقد خلا مجتمعه
منها ، ولم يحلها بالصدقة والرحمة والاحسان ، إنما بالتشريع الإسلامى الذى
ضمن كرامة المحتاج ، وابعده عن ذل السؤال ولو طبقت اشتراكية الاسلام
أو تعاليم الاسلام ، كما جاءت فى الصدر الأول ، لحلت كثير من المشكلات
الاجتماعية والاقتصادية ، التى يعانى منها مجتمعنا الحديث والتى تشمل جميع
أبناء الدولة ، دون النظر إلى أديانهم وأجناسهم، لأن تعاليم الدين الإسلامى

وضممت لجميع المواطنين ... والاعتماد على نظام مألوف للشعب وواضح
الفكرة في أذهانهم أسهل من التعويل على آراء وتيارات فكرية واقتصادية
 واجتماعية ، تحتاج إلى وقت حتى تصبح مألوفة وواضحة . والدين الاسلامي
 أصبح عقيدة ودخلت في اللاشعور ، فلا تلزم المفكر المسلم العناء الذي يعانيه
 عندما يدرس الآراء الجديدة . وقد حل الدين الاسلامي مشكلات المسلمين
 طوال العصور والقرون الذهبية . والقرآن الكريم يقول وأن ليس للإنسان
 إلا ما سعى ، والاشتراكية الغربية جاءت بعد قرون فقالت : لكل إنسان
 حسب قدرته وطاقته وحاجته ، وقد دعا الاسلام إلى ضرورة تأمين المواد
 الضرورية التي يحتاج إليها الشعب ، كيلا تكون تحت رحمة المحتكرين ،
 وقال الرسول (الناس شركاء في ثلاث الماء والكأ والنار) (١) ومن
 المتفق عليه أن الرسول حمى أرضاً بالمدينة المنورة ، يقال لها البقيع لترعى
 فيها خيل المسلمين (٢) وقد حمى عمر بن الخطاب أرضاً بالربذة ، وجعلها
 مرعى لجميع المسلمين . أى أن الخليفة عمر بن الخطاب أمم المنطقة ولم يتركها
 لجماعة من المسلمين تنفرد بالاستفادة منها . فاستغرب أهلها من عمل الخليفة ،
 لأنهم كانوا قد احتكروا هذه الأرض قبل الاسلام لأنفسهم . وأسلموا
 وهم يحتكرونها فذهبوا إليه قائلين :

يا أمير المؤمنين، إنها بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية ، وأسلمنا عليها في
 الاسلام علام تحميمها ؟

وأطرق الخليفة باحثاً عن الجواب ثم قال :

(١) اشتراكية الاسلام ص ١٠١ يلاحظ الأحاديث التي اعتمد عليها والمصادر التي أورد
نصوصاً منها لاحظ سند الأحاديث أيضاً .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٣ وقد كتب الشيخ عبد العزيز البدرى رسالة عن الاسلام
تعرض فيها للاشتراكية .

المال مال الله، والعباد عباد الله — والله — لولا ما أحمل عليه من سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً .

فقد رأى الخليفة ضرورة إشاعة هذه الأرض ، ورأى حاجة المسلمين جميعهم إليها وقد اعتبر الأرض ملكاً أشاعه الله لعباده ، فكيف يحرم جزءاً منه ويترك جزءاً من المسلمين يتمتعون بالخيرات دون سواهم .

ولم يكتف الإسلام بإشاعة الموارد العامة ، إنما منع استغلال الطاقات البشرية ، وسرقة أتعاب العمال ، وتوعد النبي بالعقاب كل من يسرق أجر العامل ، فقال :

(أعطوا الأجير حقه قبل أن يحف عرقه) وقال الرسول (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً استوفى منه ولم يعطه أجره) .

وللعقيدة أثر كبير في تطبيق أى نظام في الدنيا فالؤمن يطبق التعاليم دون أن يخاف سطوة الدولة ، ويبادر إلى تنفيذ أوامرها دون أن يرهب القانون ، لأن إيمانه وعقيدته تدفعانه إلى المبادرة والتطبيق ، فقد كان المسلم يدفع الزكاة للمستحقين ويخرجها من ماله طوعاً ورضاءً ، ولا من يحاسبه إلا ضميره ، وشعوره الدينى وإيمانه الخالص . وشتان بين إنسان يدفع المال ويطبق الشريعة لا شعورياً راضياً مسروراً ، وبين إنسان يدفع الضرائب خوفاً من طائلة القانون ، فهو يحاول جده أن يسوف ويماطل ويهرب أمواله ، ويغش في حسابه ليدفع أقل كمية ممكنة ، وعندما يأمر الحاكم يتوقف عن الدفع ، لأنه يدفع رهبة وخوفاً من السجن أو مصادرة الأموال أو العقاب المالى .

وقد كان المسلم يدفع ما عليه من زكاة بدافع من إيمانه ، لأن الدين

جعل في أموال المسلمين حقاً للسائل والمحروم، ومنع طغيان المال على المجتمع، وقال تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم وأنفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه كيلا تكون دولة بين الأغنياء منكم وكان من جراء هذا الايمان والعمل على تطبيق تعاليم الدين الاسلامي ، والأخذ بها أن أنفق الأغنياء أموالهم على الفقراء ، حتى جاءت فترة عمر بن عبد العزيز فلم يجد المسلمون بينهم فقيراً يطلب الصدقة ، أو احتاج إلى معونة .

وما مات عمر بن العزيز حتى جعل الرجل يأتي بالمال العظيم ويرجو أن يجد الفقراء المحتاجين فما يبرح حتى يرجع بماله ، لأنه لم يجد من يضع فيه المال ، لأن النظام الاسلامي قد أغنى الشعب على يد عمر بن عبد العزيز (٢) الذي طبق تعاليم الاسلام .

ولم يكن الأمر مقصوراً على فقراء المسلمين ، إنما شملت هذه الرعاية الاجتماعية النصارى واليهود ، كما شملت المرضى والأصحاء على حد سواء فقد جاء في فتوح البلدان للبلاذري :

ان عمر بن الخطاب لما سافر إلى الشام مر في طريقه بقوم مجذومين من النصارى ، فأمر أن ينفق عليهم من بيت المال ، وبأن يجعل لكل واحد منهم من يخدمه ، ويقوم على شئونه (٢) لأن المريض لا يقدر على خدمة نفسه ورعايتها .

وقد ضمن الدين الاسلامي التكافل الاجتماعي للشعب ، وضمن حاجات المواطنين فقد جاء في الخراج لابن يوسف أن خالد بن الوليد ، عندما قاد معارك العراق أعلن التأمين الاجتماعي لأهل الحيرة المسيحيين . فقد وجدنا في نصوص المعاهد التي عقدت بين الطرفين النص التالي (وجعلت لهم أيما شيخ

(١) اشترابية الاسلام ص ٢٢٦ والبدرى ص ٢٩ .

(٢) اشترابية الاسلام ص ٢٠١ .

ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقاموا بدار الإسلام .

وقد فرض عمر بن الخطاب الضمان الاجتماعي من بيت المال ، لليهود الفقراء وكفاهم ذل السؤال فقد مر يوماً بشيخ يهودى كبير ، وجده يستجدى الناس ، فلما رآه انتبه إليه وسأله :

ما أنت يا شيخ ؟

قال : دى يسأل الجزية والصدقة . أو قال له إنها الحاجة والجزية والسن . فاهتز عمر بن الخطاب لمنظره ، وساءه أن يرى شيخاً يستجدى ليقدم الجزية .

فقال له :

ما أنصفناك ، أكلنا شبيبتهك ، ثم نصيعك فى هرمك .

ثم أخذه إلى بيته وأعطاه ما وجده ، ثم أرسله إلى خازن بيت المال وقال له :

أنظر إلى هذا وضربائه ، فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم وعيالهم إلى وجدت الله يقول : إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون والمساكين هم أهل الذمة (١) .

وقد كان الرسول الكريم خير قدوة يقتدى بها المسلمون ، وقد وجدنا فى أعماله خير مثل فى مشاركة الشعب سراءه وإبعاده عن البطر والترف ،

(١) اشتراكية الاسلام أخذه من الخراج ص ١٢٦ واعتمد عليه البدرى فى ص ٢٠

فقد كان يفرض على نفسه البساطة والخشونة في العيش ليعبد المسلمين عن
مظاهر الترف، فقد روى انه جاء بيت ابنته فاطمة الزهراء ليزورها، لكنه
عدل عن الزيارة ولم يدخل الدار، فلما أحسست بالامر بعثت الإمام علياً
تستجلى أمره، وتسأله عن سبب عدوله عن زيارتها فأجابته الرسول :

إنى رأيت على بابها سترأ موشياً

فعاد الإمام على وأخبر فاطمة الخبر، فقالت :

ليأمرنى بما شاء .

فقال عليه السلام :

ترسلى به إلى فلان، أهل بيت بهم حاجة .

وعدل مرة عن زيارتها فلما استفسرت عن سبب امتناعه عن الزيارة
قال :

إنى وجدت في يديها سوارين من فضة .

فبلغها الأمر فأرسلتهما إليه فباعهما بدرهمين ونصف، وتصدق بها
على الفقراء .

فلميت شمعى كم من قادة الاشتراكية، والمسلمين، فى وقتنا الحاضر من
يرضى أن يطبق على أسرته وقرباه ما طبقه الرسول على أسرته وذوى قرباه؟

الغزالي :

ويمكننا أن نأتى برأى الغزالي لأن فيه تلخيصاً واضحاً عن العدالة
الاجتماعية التى سنّها الإسلام قال الغزالي فى المستصفى (١) :

(١) المستصفى ج ١ ص ٢٨٧ المطبعة الأميرية القاهرة ص ١٣٣٢ واشتراكية الاسلام

(إن مقصود الشرع خمسة : وهو أن يحفظ عليهم دينهم ، وأنفسهم ، وعقلهم ، ونسألمهم ، ومالهم ، فكل ما يتضمن هذه الأصول الخمسة هو مصلحة . وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة ..)

الحرية والاشتراكية :

العرب قوم يحبون الحرية ، فقد ألفوها واعتادوا عليها ، ونشأوا في ظلالها وجاء الدين الإسلامي متسقاً مع هذه الرغبة ، فقد حفظ للناس حرية النقاش والقول ، وإبداء الرأي بصراحة دون مواربة أو خوف ، وقد أوجبت تعاليمه الشورى في آيات القرآن الكريم : ورشاورهم في الأمر ، وأمرهم شورى بينهم ، بل جعل إبداء الرأي في تقويم المعوج فرضاً على كل مسلم ، فقد جاء في الحديث (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ..) فقد أوجب العمل المباشر أولاً ، وفرض ألا يقبل المسلم ، حتى مع نفسه ، المنكر ، فيجب أن يحتج بقلبه ولا يجعل للمنكر سبيلاً يرضاه وجدانه ، وقد أكد هذه الحرية الخليفة الأول أبو بكر الصديق ورأى ضرورة تقويم أخطاء السلطة في شخصه ، وإن تعاون السلطة على العمل الطيب لتشعر بمشاركة الشعب لها وتأيدها . وقد أوجب الدين الإسلامي الثورة على الحاكم الجائر ، ونقض طاعته لأن الجور يتنافى مع المصلحة العامة ، ولا طاعة لمخلوق مهما ارتفع قدره في معصية الخالق جل وعلا .

ومن هذه الحرية الواسعة المساواة التي وجدت في صلب تعاليم الدين الاسلامي بين جميع البشر ، دون تمييز في اللون أو الجنس فقد قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير) (١) فقد ساوى الإسلام

بين جميع المسلمين وفرض أن يساوى المسلم أخاه بنفسه ، والأ فيعتبر المسلم الذي لا يساوى أخاه - بما يجب لنفسه - ناقص الإيمان ، فلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

ويرى كتاب اشتراكية الإسلام أن الدين الاسلامى نظام متكامل ، وفيه كل اسس الاصلاح الاجتماعى التى تسعد ابناء الشعب كاملة شاملة ، لأن تعاليمه تضمن الحاجات الاساسية لكل فرد ، وتعمل على رفاهيته وسعادته ، ومن الضرورى الأخذ بتعاليمه تطبيقها على المجتمع المعاصر ، وليس العيب فى الدين الاسلامى إنما العيب فى الطريقة التى اتبعت فى تطبيق هذه التعاليم .

فلما اصلاح سبل خاصة تميزت بعدالة التشريع ، الضامن للطهانية النفسية الدائمة التى تنبع من وجدان المؤمن دون خوف من سلطات خارجية ، فهو يطبق التعاليم الاسلامية وينفذها عبادة وتقرباً إلى الله ، وبذلك يصبح التعاون بين السلطة والشعب قوية ، ويمكن محاسبة المسئء وردع المخطئ وتطبيق الاحكام بسهولة ويسر .

وصدر فى بغداد (الاسلام ضامن للحاجات الاساسية لكل فرد يعمل لرفاهيته) (١) وفى هذا نجدا التقاء واحداً مع كتاب الاستاذ السباعى وقد عول فى رأيه على تفسير المنار للرحوم رشيد رضا .

فى شرح قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم . .) ورأى أن الآية قررت قاعدة الاشتراك التى يرمى إليها الاشتراكيون واخذ من التفسير (. . .) اضاف الأموال إلى الجميع فلم يقل لا يأكل بعضكم مال بعض للتنبيه على ما قررناه مراراً

(١) تأليف الشيخ عبد العزيز البدرى .

من تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها ، كأنه يقول إن مال كل واحد منكم هو مال امتكم ، فإذا استباح أحدكم أن يأكل مال الآخر بالباطل ، كان كأنه أباح لغيره أكل ماله ، وهضم حقوقه . لأن المرء يدان كما يدين . . . وصاحب المال الحائز له يجب عليه بذله للمحتاج فكما لا يجوز للمحتاج أن يأخذ شيئاً من مال غيره بالباطل ، كالسرقة والغصب ، لا يجوز لصاحب المال أن يبخل عليه بما يحتاج إليه . . .) (١) وقد شرح الأستاذ البدرى وجهة نظره بقوله (وأقول زيادة في البيان إن مثل هذه الاضافة قد قررت في الاسلام قاعدة الاشتراك ، التي يرمى إليها الاشتراك في هذا الزمان وليكنهم لم يهتدوا إلى سنة عادلة فيها ولو التسوها في الاسلام لوجدوها ، ذلك بأن الاسلام يجعل مال كل فرد من أفراد المتبعين له مالا لأمة كماله ، مع احترام الحياة والملكية ، وحفظ حقوقها ، فهو يوجب على كل ذي مال كثير ، حقوقاً معينة للمصالح العامة) والاستاذ البدرى يرى ضرورة تطبيق تعاليم الدين الاسلامي لأنه إذا تم التطبيق ارتفعت ضرورة كل مضطر ، فيقول (... والبلاد التي يعمل فيها بالاسلام لا يوجد فيها مضطر إلى القوت ... سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، لأن الاسلام يفرض على المسلمين فرضاً قطعياً) أن يزيلوا ضرورة كل مضطر كما يفرض حقاً آخر للفقراء والمساكين ومساعدة الغارمين ...) (٢)

ومن الداعين إلى اشتراكية الاسلام الأستاذ عبد الغنى سعيد في كتابه (الاسلام والأصول الفسكورية للاشتراكية) أرجو أن يراجع . . ونلاحظ أن أكثر الداعين لها يرون ان اشتراكية الاسلام أو تعاليم الدين الاسلامي في الاصلاح الاجتماعي لم تطبق بكاملها إلا في عهد المسلمين الأوائل

(١) تفسير القرآن الكريم ، للأستاذ محمد عبده ص ٣٩ الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ

(٢) بتدريس رأي الأستاذ محمد عبده كلمة .

ولما تعرض الاسلام للنكسات الخطيرة قضى على المعالم التطبيقية الاشتراكية، بعد أن تحول الاسلام من نظام البيعة إلى نظام الوراثة، ولما جاءت مفاهيم الرأسمالية والبرجوازية والاشتراكية إلى العرب كانت المفاهيم الاسلامية قد تغيرت في التطبيق، وبعدت عن الاصول الصحيحة، فرددها للعرب لعدم معرفة دينهم وتعاليمه الصحيحة لابتعادهم عنه (١).

الافغانى والاشتراكية الاسلامية :

ولجمال الدين الافغانى رأى واضح في ضرورة العودة إلى اشتراكية الاسلام لانها (ملتحمة مع الدين الاسلامى ملتصقة في خلق اهله، منذ كانوا أهل بدواة وجاهلية) ورأى الصحابة هم أول من عمل بالاشتراكية وطبقها اكابر الصحابة، ورجع بها إلى التاريخ العربى قبل الاسلام وقال إن الاشتراكية من خلق البدواة، وضرب مثلاً بحاتم الطائى الذى ذبح فرسه ليطعم صبيبة جائعين من قبيلة طى* وبطلحة الطلحات الذى جهز ألف فارس وقال :

(هذا مثل من الاشتراكية قبل الاسلام ، ومنه يعلم أن الثروة كانت ولا تزال موجودة في الافراد ، ولكن حسن استعمالها ، وجعل الاشتراكية أمراً مقبولا ، وصفة مدحوة اذ لا اناية ولا أثره ولا اسطالة على الفقير بخيول مطهمة يستأثر بها ، ولا بطعام شهى يلتذ به مع لفيفه ، ولا ببناء شاهق يسكن فيه ، بينما يوجد مسبب ومهيى تلك النعم كلها ، ذلك العامل الفقير الذى يسكن كوخا صغيراً . نصف اعضاءه وابنائنه في خارجه ، عرضة لصبارة القر ، وأواردة الحر ، لا يملك من القوت خبزاً كافياً ، ولا من الملبس ما يستر به تمام العورة) (٢) .

(١) الاسلام والاصول الفكرية للاشتراكية طبع في القاهرة .

(٢) خاطرات جمال الدين الدين الافغانى الحسينى جمع محمد باشا الخزمي مي ١٨٩١-١٩١١

ورأى الافراط في الثروة هو الذي استغفر العمال فطالبوا بالاشتراكية، وقد حذر الافغانى من سوء العاقبة ، ورأى فى اشتراكية الاسلام ما يضمن الاستقرار والطمأنينة وقد برهن الافغانى على اشتراكية الاسلام بالمساحة التى شملت المصلحة العامة ومدح تعاليم الاسلام التى تحث المسلم على المساواة دون فرق بين غنى وفقير وتحدث عن ظهور ابي ذر الغفارى وختم رأيه بقوله : (١)

« وكل اشتراكية تخالف فى روحها واساساتها اشتراكية الاسلام ... فلا تكون نيتها الا ملهمة كبرى ، وسيل الدماء ولا سيل العرم من الابرياء ، وهى تخريب لبناء لا يشاد عليه شئ يذتفع به احد من الخلق . نعم يستفيد من يلوك بلسانه كلمة الاشتراكية ، ويجعلها احبولة صيد ، وهى كلمة حق يراد بها باطل ، اكرر القول ان اشتراكية الاسلام هى عين الحق ، والحق احق أن يتبع (١) .

وكل ما ارجوه أن ترجعوا إلى خاطرات الافغانى لدراسة رأيه فى الاشتراكية ، بين الصفحات ١٨٩ إلى ٢٠٤ وقد صدر كتاب (الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى) مع دراسة عن حياته آثاره ، بقلم محمد عمارة وكنت اتمنى أن تطبع الأعمال كاملة وبالشكل الذى ظهرت فيه منفصلة فلو فعل السيد عمارة ذلك لكان ادى خدمة كبيرة فى خدمة الرجل والفكر العربى لاسيما وأن كتبه أصبحت نادرة وليكن توزيع اعماله بالشكل الذى ظهرت فيه اضاع كثيراً من فائدتها المرجوة .

الاشتراكية العربية :

كنت أرجو أن أفرد فصلاً أو محاضرة من محاضرتي لكم عن الاشتراكية العربية ، فقد وجدت في القاهرة كتباً ومقالات ألغت في هذا السبيل لم أطلع عليها وكنت أتمنى أن أمر بالميثاق لأعرض المراد بالاشتراكية التي تضمنها الميثاق ، لكنني سأترك لكم مرة أخرى أمر التفاصيل وما لم تسمح به ظروف في عرضه لكم . لأنني دأبت على أن أثير الموضوعات لطلابي ، وأدلم على الطريق والطالب المجد هو الذي يجب حتى يصل الهدف ، ولأنني أعتقد بأن الدراسات العالية ليست تلقيناً بمحاضرات تلقى ، وطلاباً يكتبون ثم يحفظون المحاضرات ولكنني سأضع لكم قائمة باسم بعض كتب الاشتراكية المطبوعة للاستفيدوا منها ويستفيد غيركم ليقدموا الامتحان فيها لكي يحوزوا مرتبة النجاح . إنما الطالب المتميز من ظهرت شخصيته ونمت قابليته الفردية وديدني أن أربي في الطالب الفكرة المتميزة والشخصية القوية العملية الواعية ، فاعتمد على النقاش وعلى إثارة الموضوعات ، أو أترك لطلابي حرية التتبع وإبداء الآراء ومخالفة ما اعتقده .

ولا بد أن أقول وأنا بصدد التحدث لكم عن الاشتراكية العربية إن هناك عدة أسئلة أثارها المعارضون ، فقد قال قسم منهم إن الاشتراكية هي اشتراكية غربية ، وليست هناك اشتراكية عربية ، أو سخر منهم من سخر ، وقال إن نقطة (غربية) سقطت فأصبحت (عربية) وفات هؤلاء الميزات التي تختلف بها الاشتراكية العربية ، عن الاشتراكية نفسها بل فاتهم أن الاشتراكية نفسها ، أدخلت في عدة أطوار ، واختلفت باختلاف الأزمان والأمكنة . فإذا قارنا اشتراكية ماركس وانكلز مع ما عمل لينين لوجدناه قد طورها بوعي أراد فيه مصلحة الشعب السوفييتي ، ثم جاء ستالين فأدخل عدة أمور عليها وجاء بعد ستالين جماعة طوروها إلى ما يلائم القرن العشرين ، والمرحلة التي وصل إليها الاتحاد السوفييتي من التقدم والحضارة والرفق .

وحق في الدول الاشتراكية نجد اختلافين ظاهرين بارزين، فقد كنت في الصين ورأيت التقدم الصناعي والاجتماعي الذي طرأ على الصين الشعبية فكان التقدم مدعاة إعجابي وتقديرى لا سيما هذه الوحدة الصينية الكبيرة ، التي شملت ٧٠٠ مليوناً من أبناء الصين الشعبية ، فهل بقيت الاشتراكية على ما كانت عليه في عهد كارل ماركس ؟ وجمد قادة الفكر الصيني عند تعاليمه ولم يطوروها ؟ الواقع غير هذا فإن زعيم الصين الشعبية وباني كيانه ماوتسى تونك قد طور الاشتراكية لتطويراً يلائم وحياة الصين وظروفها ، ومواردها الطبيعية ، فخلق منها صيناً جديدة ، في ضوء هذا التطور حتى قال عنه الصينيون إنه قمة الماركسية اللينينية الستالينية وهي ماوصلت إلى القمة إلا نتيجة لفكر ماوتس تونك وإبداعه . ومادام بالإمكان تطور الاشتراكية في البلاد الشيوعية فأحر بنا أن نطورها مع ما يلائم الفكر العربي والحياة الاقتصادية ، والموارد الطبيعية والبيئة العربية . ولهذا وجدنا اختلافاً في مفاهيم الاشتراكية في بلادنا العربية ، ينبع هذا الاختلاف من اختلاف النظرة للاشتراكية نفسها .

وسأعرض عليكم بعض الآراء التي تبسرت لي في الكتب التي توفرت لدى ، وسأحاول معكم أن أجهد تعريفاً واضحاً للاشتراكية العربية ، والميزات التي تميزها عن الاشتراكية الغربية ، عندما تطورت وواكبت المسيرة العالمية للفكر . لا سيما وقد تبنت هذه الآراء بعض الأحزاب العربية واعتنقتها .

وأول هذه الآراء قول مفكر معروف هو (إذا سئلت عن تعريف للاشتراكية ، فلن أنشده في كتب ماركس ولينين ، وإنى أجيء أنهادين الحياة ، وظفر الحياة على الموت فهي بفتحها باب العمل أمام الجميع ، وسماحها لكل مواهب البشر وفضائلهم أن تتفتح وتنطلق وتستخدم ، تحفظ ملك الحياة

للحياة ولا تبقى للموت إلا اللحم العظم الجاف ، والعظام النخرة (١) .

ولنقرأ المفكر رأياً آخر في كتاب طبع قبل هذا الكتاب سنجد اختلافاً واضحاً في التعريف والمفهوم فقد قال في تعريف الاشتراكية (. . .) إن الاشتراكية ليست أكثر من نظام اقتصادي ، مرن متكيف مع حاجات كل أمة ، وليس بعسير على العرب إذا ما تخلصوا من كابوس الشيوعية أن يهتدوا إلى اشتراكية عربية مستمدة . من روحهم ، وحاجات مجتمهم ، ونهضتهم الحديثة ، تقتصر على إيجاد تنظيم اقتصادي معقول عادي ، يحول دون الأحقاد والنزعات الداخلية ودون استثمار طبقة لأخرى ، وما ينتج عنه من فقر وجهل وشلل عد كبير من أفراد الشعب العربي وهكذا تكون الاشتراكية خادمة للقومية العربية ، أو عنصراً هاماً في بعثها وتحقيقها . . . (٢) والملاحظ أن المفكر نفسه جعل الاشتراكية خادمة للقومية العربية ، أي أن الاشتراكية تعين القومية العربية على إعادة مجدها وخلقها من جديد أو هي عامل مساعد قوى في هذا البعث والوجود الجديد ، ثم إن المفكر نفسه قال في مقال آخر من الكتاب نفسه ، إن الاشتراكية هي القومية العربية .

(ويمكننا أن نقرر بأن القومية العربية مرادفة للاشتراكية ، وقال في الصفحة نفسها (. . . القوميون العرب هم الاشتراكيون . . .) (٣) والواقع لا يتفق مع المفكر لأن قسماً من القوميين لا يؤمنون بالاشتراكية سبيلاً لتحقيق الوحدة العربية ، ومنهم من يرى السبيل إلى الوحدة هو المثل الذي ضربته ألمانيا وإيطاليا في وحدتها يوم لم تكن هناك اشتراكية .

وقد آمن كاتب آخر بضرورة وجود اشتراكية عربية في الوطن العربي

(١) في سبيل البعث ، ميشيل عفلق ، ص ٢٦ طبع سنة ١٩٦٣ .

(٢) في سبيل البعث ص ١٩٧ طبع سنة ١٩٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠٢ طبعة سنة ١٩٤٦ . ولأحظ الصفحات ٢١٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦

فقال (. . . نعم يمكن أن توجد اشتراكية عربية) ، بل لا يمكن أن توجد
إلا اشتراكية عربية في الوطن العربي . . . (١) .

ولا جدال في أن كل أمة عالجت مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية
بضوء نظام من الأنظمة ، وعالج قسم من العرب هذه المشكلات في ضوء
الاشتراكية ، وقد كانت الأمم تضع نصب عينها الظروف الخاصة التي تحيط
بها ، والمفاهيم التي عاشت عليها ، وتاريخها وحضارتها ، ثم تقنن
نوع الاشتراكية والسبيل التي تطبق بها مفاهيمها ، فطابع التطبيق
عند الشعب الانكليزي ، لا يطابق السبيل الذي طبقت فيه فرنسا مفاهيمها
الاشتراكية ، والتجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لا تلائم
التجربة التي قام بها زعيم الصين مارتسي تونك ، بالرغم من أن مصدر
التجربتين واحد ، وقد عاونت روسيا على تقدم الصين وساعدها بكل
ما لديها من طاقة ، ولكن الصين الشعبية ، رأت أن يكون لها تطبيق يتلائم
مع البيئة الصينية ومسار الصين ، وظروفها الخاصة . ولم يمنع نظرية
الاقتصاد الماركسي العامل المشترك بين الالمتين ، من وجود اختلاف في
التطبيق ، أدى إلى الفرقة والقطيعة بين الدولتين الاشتراكيتين ، ولا أجد
ضيرآمن هذا الاختلاف ، فالفارق الجغرافي والتاريخي والانتاجي في روسيا
السوفياتية يختلف عنه في الصين الشعبية ، ولأن الظروف التي تمت بها الثورة
في الصين لم تكن الظروف نفسها في الاتحاد السوفياتي .

وقد دخلت الاشتراكية في البلاد الرأسمالية ، وبذلك أثيرت معركة
بين المفكرين خاصة في انكلترا وفرنسا ، بعد أن وعى العمال مقدار الفائدة
التي يجنيها أصحاب رؤوس الأموال ، وبعد أن تسربت الآراء الاشتراكية

بينهم ، فأروا أن تراكم رؤوس الأموال لم يكن لإحصيلة العمل المتواصل الذى قدموه فاختلّفوا مع أصحاب رؤوس الأموال ، وطالبوا بزيادة الأجور وكثرت الإضرابات فى المعامل والمصانع على اختلاف أنواعها ، ولم تكن هذه الإضرابات إلا سبباً للاختلاف الناجم من التفاوت المعاشى بين الأغنياء المترفين ، والطبقة المتوسطة ، رغم وجود الرخاء والرفاهية بين طبقة العمال ، من جراء الغنى الفاحش الذى جاءهم من سيطرتهم الاستعمارية على الدول النامية .

وقد اختلفت الاشتراكية التى دخلت إلى انكلترا عنها فى الدول الاشتراكية لاختلاف الظروف التى وصلت فيها الفكرة إلى انكلترا وفرنسه فهل يمكن أن تطبق الاشتراكية الموجودة فى الاتحاد السوفياتى على بلد رأسمال مثل انكلترا ؟ ومتى طبقت معناه قلب النظام السياسى والاقتصادى كله وهذا ما لم يقبله الشعب الإنكليزى المحافظ ، لذلك وجدنا العمال الإنكليز أنفسهم ينظرون إلى جوانب لم يرها المقصرون فى الدولة الاشتراكية ، وهذا هو الذى أوحى إلى الكاتب بأن الاشتراكية عقيدة غير راسخة ، فقد قال تاونى R. H. Towner (... إن الاشتراكية كغيرها من التعبيرات المختلفة للقوى السياسية المركبة ، كلية لا تختلف فى مدلولاتها من جيل إلى جيل فحسب ، بل من حقبة إلى حقبة ...) ويوضح الأستاذ كول التناقض الظاهر فى الاشتراكية ، بين قطر وآخر وجيل وما بعد بقوله (...) . ولم يكن التباين فى العقيدة نتيجة اختلاف الزمن فحسب ، بل كان هناك تناقض بين الصور المختلفة التى وجدت فى عصر واحد ... (١) فلا غرابة أن وجدنا التناقض والاختلاف فى الصور نتيجة لاجتهادات المفكرين ، ودارس الاشتراكية يجد مثل ذلك فى الأونية ، والماركسية

والاشتراكية المسيحية ، والفابية . وسيجدها واضحة بين الاشتراكية العربية وغيرها من تطبيقات النظرية الاشتراكية في كثير من الأقطار . وقد يكون هذا التباين جوهرياً ، تتنافر عنده الشعوب وتنصارع فيه أقلام المفكرين في إثبات أى التطبيق الاشتراكي هو الصواب ، مما أدى إلى أن يكون الاشتراكيون أنفسهم أعداء لأنهم يأخذون بالاشتراكية تطبيقاً مختلفاً ، وهذا طبيعي في فهم الاشتراكية ولأن كل شعب أخذ ما رآه ملائماً لحاجاته الاقتصادية والاجتماعية منها حتى تعذر على المفكرين أن يجدوا تعريفاً يتفق عليه الكتاب جميعاً في مختلف الشعوب ، لأنها مبدأ حتى ما زال يتطور ، ولأنها حوت آراء وجدانية وآراء عقلية يصعب أن نحصرها في تعريف واحد . لا سيما أن قسماً من المفكرين يرجع الاشتراكية إلى عصر أفلاطون . ومن التعاريف اللطيفة قول برنارد شو (. . . إن الاشتراكية جنة الكفاءة ، وديمقراطيتها تنزع الصناعة من أيدي المتوحشين الأغنياء)

وارجع قسم من كتاب العرب جذور الاشتراكية إلى مئات السنين ، وقالوا إن الاشتراكية العربية ظهرت قبل الاشتراكية الغربية ، وأنها جزء من تراث العرب القومي ، وعندما بعثت القومية العربية في شكلها الثوري الحديث ظهرت معها الاشتراكية العربية ، ورأى أن الاشتراكية العربية هي اشتراكية الإسلام ، وهذه الاشتراكية ليست متعصبة وهي ديمقراطية تعاونية وأنها تتفق مع النظرية الاشتراكية في أحدث أطوارها (١) ، ونجد كاتباً آخر يوضح ماهية الاشتراكية العربية بقوله : (. . . والاشتراكية أخلاقية من حيث أساسها ، وعربية من حيث تركيبها ، لأنها تنظيم اقتصادي يمنع فيه الاستغلال ، وتقديس كرامة الإنسان ويزول الفقر والمرض والجهل ، ويوفر للجميع حداً أدنى من المعيشة ،

(١) الإسلام والأصول الفكرية للاشتراكية العربية ص ٣١ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٨ و ٤٠

وهي عربية بمعنى إنها التنظيم الملائم للنهضة القومية ، والطريق الضروري لتحقيق القومية ...) (١) ويؤكد مفكر أن الاشتراكية هي التي ستأخذنا نحو الوحدة العربية ، ولكن كما قلت لكم إن شواهد التاريخ وقسماً من الحدوديين يرون أن وحدة الولايات المتحدة ، وألمانيا وإيطاليا ، تمت قبل أن تظهر الاشتراكية في شكلها الغربي المعاصر .

ونحن لا يهمنا التعريف ولا تهمننا أقوال المفكرين ، بقدر ما تطبيق الفكرة الاشتراكية في بلادنا وخدمة ، شيئين مهمين للعرب : الأول وحدة العرب والثاني رفع مستواهم الاقتصادي ، بالاستفادة من جميع موارد العرب الطبيعية ، دون أن يكون استغلال طبقي ، أو ظلم اجتماعي .

وليست العبرة بالأسماء إنما المهم أن يكون التطبيق مفيداً ملائماً للعرب فلا يهمنى أن نسمى هذا الإصلاح ، بالعدل الاجتماعى ، أو المساواة الاجتماعية أو العدالة الإنسانية ، إنما المهم عندى أن نحقق للعرب وحدثهم ونرفع مستواهم الاقتصادى والفكرى والاجتماعى والسياسى .

الرد على الاشتراكية :

والاشتراكية مذهب من مذاهب الاقتصاد ، أو عقيدة من العقائد أو رأى فى السياسة ، أو الثلاثة معاً وإذا ظهرت فى أى بلد لا بد أن تقلب كثيراً من مفاهيمه ، وأن تؤثر فى النظام السياسى القائم على الحكم الفردى أو على غبن الأثرية وتنعم الأقلية ، لا سيما إذا لم تكن البلد قد أخذت بنظام اجتماعى وسياسى ، يضمن الرفاهية لأكثرية أبناء الشعب ، فهى حرب دون ريب على الاقطاع ، والاستعمار ، والاستغلال بكل صورها وأشكالها .

(١) لاحظ مقدمة سعدون حمادى لكتاب فى سبيل البعث المطبوع سنة ١٩٦٣ طبعة

لوهى فكرة جديدة هزت المثل ، فمن المفكرين من قبلها ومنهم من ارتضى جانباً عنها ، ومنهم من ثار عليها وهاجم المعتنقين لها ، وقد حصلت على كتابين هاجما الاشتراكية وكنت أتمنى أن أحصل على أكثر من ذلك وفي الكتابين نجد رأى مهاجمي الاشتراكية الكتاب الأول ، دأ كذوبة الاشتراكية ، والثاني « التضييل الاشتراكي » (١) وعندى فى بغداد أكثر من كتاب ، لا تخرج فى ردها عن هذين الكتابين . والكتاب الأول تأليف الأستاذ محمد احمد باشميل ، وهو خطابى النزعة ، يزرخ بالوعظ والارشاد ، محشو بالشتائم والسباب ، ومثل هذه الكتب تبعد الباحث المتجرد عن الاعتماد عليه ، وبذلك أضاع المؤلف الهدف الذى كتب من أجله الكتاب ، فإن المفكر هو الذى يتحدث بأسلوب منطوق ويقرع الحجة بالحجة ، ويرد على النظريات رداً هادئاً رزيناً ، حتى يلاقى القبول فى النفوس لا يشتم ويتهم دون برهان أو بينة .

وفى طريق المتناقضات فى الكتاب أنه قال : إن الاشتراكية تقرب للصهيونية الأمريكية ، وأنها تقرب إلى خروشوف ، وانتعرب كيف جمع بين الرأسمالية والشيوعية وهما أعداء تحت سقف واحد ؟ أو مع هذا فقد اعتبر خروشوف أبا الاشتراكية العربية وقال إن الاشتراكية العربية ليست إلا شيوعية (. اسموا شيوعتهم المقتنعة بالاشتراكية العربية ، ليكسبوا عن طريق إضافة العروبة إلى اشتراكيتهن ، مشاعر الغوغاء السطحيين ، الذين يسهل بمثل هذه الحيل والألاعيب تجنيدهن ، وإثارة عواطفهم العمياء وطمس بصائرهم .. ويرجع الاشتراكية العربية إلى ماركس روحاً ومعنى ، ونفى أن تكون للاشتراكية أصل فى الدين الإسلامى ، وهاجم التأميم بعنف وسماء السرقة والاعتصاب ، وسخر فى هدف الاشتراكية لإذابة الطبقات الغنية والقضاء على الغنى الفاحش والفقر المدقع ، ورأى ضرورة وجود هذا التفاوت الطبقي ، لأن هذا التفاوت فى الغنى ، أوجد لحكمة من الله الذى سخر الفقير لخدم الغنى

وسخر الغنى لينتفع منه الفقير ، وقال عن الذين يرون إزالة الفوارق الطبقيّة لهم (. . .) ملحدون يحاولون سفها تغيير النواميس السكونية الأبدية الإلهية .) وراى ان التفاوت الطبقي ضرورة اجتماعية ، لأن الله يخص بالغنى من يشاء ، ويكتب الفقر على من يشاء ، والغنى والفقر من شرعة الله . إلى آخر هذه الآراء التى يريد بها الكاتب إبقاء الفقير يعيش فى فقره والشعب عبداً يرسف فى ذلة أبد الدهر ، لا يطور حياته ولا يأخذ بالحضارة والنقد الحديث لأن الله كما يقول ونستغفر الله عما يقول ، كتب الفقر على قسم من البشر، فيجب أن يكون الانسان فقيراً أو يرضى بالفقر. ولما تحدث عن أبى ذر الغفارى قال إن أبا ذر لم تكن دعوته الاستيلاء على الأموال بالقوة ، وإنما أراد من الأغنياء أن يوزعوا فضلات أموالهم على الفقراء والمساكين. وقال إن جميع المفسرين من الصحابة وغيرهم سوى أبى ذر أجمعوا على أن آية الزكاة آية ناسخة لآية السكّنز ، وليس للحاكم المسلم أن يستولى على أى شىء من أموال الناس ، سوى الزكاة من مال المسلم أو الجزية من مال الذمى الواقع تحت حكم المسلمين ، وقال إن ثروات الصحابة بلغت الملايين أو يظهر أن الكاتب جمع قسماً من الأحاديث التى ألقاها من إذاعة ملكة عربية . .

وقد فاتنى أن أمر على كتاب التفضيل الاشتراكى وأرجو أن يتاح لى وقت آخر لتلخيصه وإبداء الرأى فيه واكتفى هذا الكتاب فى هذه المحاضرة لأنى أملك الكتاب معى فى القاهرة .

(١) أكتوبة الاشتراكية العربية طبع سنة ١٩٦٢ ولم يذكر مكان الطبع وأرجح

أنه من مطبعة بيروت ، لاحظ الصفحات ٨٩ و ٩٠ و ١١٠ و ١٦ و ٣٣ و ٦٣ و ٧٥ و ١١١ على التوالى .

الاشتراكية في العراق :

وبعد أن تخلى العراق عن الحكم الملكي في ثورته في ١٤ ثُموز بقی فی صلاته الاقتصادية يسير حسب النظام القديم ثم أخذ بالنظام الاشتراكي ومازال جاهداً لتطبيق هذا النظام وستمضي سنوات حتى يقدر المفكرون من نشر الرأي الاشتراكي بين الناس ، وتصبح الاشتراكية جزءاً من وجدناهم . وقد جند النظام الاشتراكي قسماً من العاملين في القضايا العامة ، ووقف ضده آخرون . ويمكننا أن نطلع على جانب من هذه الآراء في الاستفتاء الذي أجرته مجلة (الصناعي) التي رأت أن حوادث القرن التاسع عشر والقرن العشرين ناقضت آراء الاقتصاديين القدامى التي تقر الحرية الاقتصادية ، وابتعاد الدولة عن التدخل في الاقتصاد وأن يتاح للفرد التمتع بحرية اقتصادية حسب طاقته وحسب مصلحته (١) فوجدت أحد الكتاب يقول : إن الاشتراكية تمثل الجانب الاقتصادي للحرية ، ولاحرية تامة بدون اشتراكية ، لأن الحرية السياسية تبقى بدون محتوى ، إذا لم ترتبط بتكافؤ الفرض الاقتصادية ، وضمان مستوى لائق من المعيشة ، ومنع الاستغلال ، وعدالة توزيع الدخل القومي (٢) ٠٠

وقال كاتب آخر : إن الأصل في السياسة الاشتراكية ، هو التدرج نحو الاشتراكية الحقيقية ، وهي الملكية الجماعية . واستطرد فقال : إن الأصل هو هذه الإنسانية التي لا اعتقد أنها يمكن تحقيقها إلا بالحرية ، فالإنسانية والحرية مترادفتان ، وحين تنعدم الحرية ، تنعدم إنسانية الإنسانية ٠٠ (ومن قوله : (... فإذا استطاعت الاشتراكية أن تحافظ على حرية الإنسان ، فإنها بذلك تكون قد حققت أسمى ما يصيغو إليه المجتمع (٣))

(١) يلاحظ العدد الاول من السنة الخامسة الصادر في شهر آذار ١٩٦٤

(٢) رأي الاستاذ اديب الجادر ص ٣

(٣) رأي الدكتور عبد المنعم السيد على مجلة الصناعي ص ٤

وقال كاتب ثالث في المجلة نفسها: يمكن التوفيق بين الحرية والاشتراكية ثم شرح رأيه بقوله . (الحرية هي الحرية الاقتصادية، والاشتراكية هي ملكية الدولة لوسائل الإنتاج الكبيرة ...) (١) .

وقال كاتب رابع (...) الاشتراكية لا تعارض بينها وبين الحرية الدستورية الديمقراطية ، بينما يصحب التوفيق بين الحرية والماركسية ، لإصرار الأخيرة على ضرورة قيام دكتاتورية طبقة واحدة في المجتمع . وهذا تفقد الطبقات الأخرى الحريات الدستورية والديمقراطية ... (٢) .

ويقف أمام الفكر الاشتراكي كاتب واحد بصراحة تامة وتناقش الرأي ولا يرضاه ويهاجم الفكرة من أساسها بقوله (...) إن المناذاة بالاشتراكية من أى نوع أو من أى اسم للاشتراكية ، ما هو إلا دجل وتهريج ، وهذا ناتج عن عدم ثقة الناس بأنفسهم . وشعورهم بالنقص ، والأغرب من هذا وذلك ، جهلهم لمعنى الاشتراكية ، وعدم تمييزهم بين مذهب تدخل الدولة فى شئون الأفراد الاقتصادية، وبين الاشتراكية نفسها ، وفاتهم أنه لم تطبق الاشتراكية حتى الآن فى جميع أنحاء العالم بما فى ذلك المعسكر الشيوعى (٣) ...)

ولم يكتف بإبداء رأيه هذا ، إنما أصر على أن يوضعه بقوله (إن الاشتراكية تخالف طبيعة البشر ، حيث إننا لم نجد لها مطابقة فى أية دول العالم تطبيقاً اختيارياً من قبل الشعب ، بل وعلى العكس نجد لها فى كل الدول التى تطبقها مفروضة على الشعب بالقوة والإكراه وإن نظام الحكم فى هذه

(١) رأى للاستاذ كاظم عبد الحميد العدد نفسه ص ٦ .

(٢) رأى الدكتور خالد الشاذى فى المصدر السابق ص ٧ .

(٣) معارضة الدكتور هاشم الدباغ ص ١٠ .

الدول قائم على السلطة المطلقة ، وهي تجعل الفرد عبداً ، وآلة مجردة من عنصرى التفكير والتعبير ... (١) .

وقد رفض أحد الكتاب أن يستعمل كلمة الاشتراكية العربية لأنه لم يرها تدل مدلولاً صريحاً على التطبيق فقال (... ليس هناك نظرية اشتراكية عربية في الزراعة بمختلف طرقها ، ومفاهيمها ...) ثم أردف موضحاً هذا رأى بقوله : (... إن الفكر الاشتراكي العربي الحديث ، لا يزال في الأدوار الأولى من تكوينه ، ولم يتمخض حتى الآن عن نظرية خاصة به ، وإذا كان البعض يقولون بوجود نظرية اشتراكية عربية ، ذات ملامح متميزة ، فنعتقد أن هذه النظرية مبنية على فرضيات عامة ، قد لا تكون صالحة للتطبيق في جميع الظروف والأحوال خاصة في الزراعة ...) (٢) .

وقد صرح كاتب مسئول كان رئيساً للوزارة في العراق عن رأيه في الاشتراكية فسامها الاشتراكية الرشيدة وعرفها بقوله : هي الاشتراكية الهادفة إلى تحقيق العدل الاجتماعى ، والساعية إلى زيادة الإنتاج ، وحسن وعدالة التوزيع ، وهي فوق ذلك الاشتراكية البناءة التى لا تؤمن بالتقسيم الطبقي للمجتمع ، ولا ترى حتمية الصراع الطبقي ، والتي تؤمن بأن الاشتراكية فى واقع الحال ليست إلا الوجه الاجتماعى للقومية العربية ، وقال : (... لأنها بعبارة أخرى اشتراكية نيرة تنتفع من مختلف النظريات والآراء والمذاهب ، والأفكار ، لانلتزم أو تجمد على واحد منها على التخصيص ...) (٣) .

(١) مجلة التجارة ، التى تصدرها غرفة تجارة بغداد ج ١ السنة ٢٧ عدد آذار ١٩٦٤
(٢) رأى الدكتور عبد الصاحب العلوان فى مجلة الاقتصادى العربى التى تصدر فى دمشق العدد ١٤٩ الصادر فى ٢٠ كانون الثانى ١٩٦٦ .

(٣) من حديث للأستاذ عبد الرحمن البراز لمراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط ، طبعته وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد بدون تاريخ . وله فى كتابه (أبحاث فى القومية العربية) مفصل رأى .

وكتب الكتاب في الفكر الاشتراكي فهدوا كثيرة في الجرائد والمجلات مما لا يمكن حصره ومن كتب في الموضوع الدكتور نوري الحافظ فقد كتب عدة مقالات نشرها في مجلة المعرفة الدمشقية ثم جمع هذه المقالات ونشرها مرة واحدة ، وقد حاول الزميل الحافظ أن يستوعب آراء الاشتراكيين ويحاول مع الاشتراكية لينشرها بين الشعب للمساهمة منه في بث الوعي الاشتراكي الذي يحتاجه العراق ، وقد أطلعنا الكاتب على مختلف الاتجاهات والآراء الاشتراكية وقد كان موضوعياً في آرائه وفيما جاء من آراء الآخرين .

وكتب الدكتور ياسين خليل (القومية والاشتراكية) تحدث عن الاشتراكية وتساءل :

ما الاشتراكية العربية ؟ وكيف تختلف عن المذاهب الاشتراكية العالمية ؟ وأجاب عن السؤال بقوله :

(. . . إن الاشتراكية أنواع كثيرة ، والاشتراكية الشيوعية ما هي إلا لون من هذه الألوان ، وإن الاشتراكية الواحدة يمكن أن تختلف باختلاف تطبيقيها ، وباختلاف طبيعة الشعوب التي تأخذ بها ، أما الاشتراكية العربية فهي ليست فكراً شيعياً أو غربياً لأنها تعتمد على الإسلام وتستشير بمبادئه ، وبالمثل الإنسانية التي تؤلف جوهر عقيدتنا في الحياة ، وهي ليست غربية لأنها تختلف عن الاشتراكية الغربية فكراً وتجربة ، فالاشتراكية العربية التي انتشرت في أرض الجمهورية العربية المتحدة والجزائر تتفق مع الفكر الاشتراكي العالمي في بعض الوجوه وتختلف في أمور كثيرة ، لأن اشتراكييتنا تنبع من وجدان الأمة العربية وحاجاتها ومن طبيعة المجتمع العربي وتكوينه المادي والروحي الذي يتفق في روحه وأهدافه مع مايرجوه الإنسان العربي المسلم في تحقيق مجتمع الكفاية والعبد) (١) .

والدكتور ياسين خليل وضع النقط وحدد الرأى بصورة واضحة وتحمل المسئولية والتخطيط فى العراق ، وهو مدرس فلسفة واضح الفكرة جلى الرأى فهو يقول : (الاشتراكية العربية ليست — كما يتصور الكثيرون — مجرد نظام اقتصادى وطريقة أو مذهب لرفع مستوى الأفراد الاقتصادى فقط بل إن فيها من الحيوية والمبادئ ما يجعلها تذهب إلى أبعد من ذلك بكثير ، إنها تحاول أن تخلق مجتمعا جديداً تقديمياً يقوم على دعائم خلقية وروحية مستمدة من عقيدتنا الإسلامية ، وتسعى إلى خلق الصناعة المتطورة والزراعة القائمة على الاستفادة من الخبرات العالمية ، وهى بذلك تسعى إلى زيادة الدخل القومى والاكتفاء الذاتى ، والاشتراكية العربية لا تقبل مبدأ تسلط فئة من الشعب على الفئات الأخرى مهما كانت هذه الفئة كبيرة بل إنها تقدم الفرص المتكافئة أمام الجميع للعمل والإنتاج كل حسب اختصاصه وقدراته الجسمية والعقلية..)
ويتحدث عن الاختلاف بين الاشتراكية العربية وغيرها بقوله :

(... وتختلف من الوجهة الأيدلوجية عن غيرها لأنها ترتبط بالمعسكر الشيوعى أو الرأسمالى وتسعى إلى توطيد التعايش السلى بين شعوب الأرض جميعاً ، وهى إذ تضع ذلك مبدأ تضع نصب أعينها تحديات الاستعمار من الخارج والرجعية العربية من الداخل ، وتختلف من أن فلسفتها وأسسها العقائدية مرتكزة على الإسلام ، بينما تعتبر الاشتراكية الشيوعية التفسير المادى لكون التاريخ قاعدة فلسفية لانطلاقها فى العمل ...) (١) :

فالزميل ياسين خليل يرى تطبيق اشتراكية مرتكزة على قواعد

الإسلام أترفع من مستوى الحياة الاقتصادية للشعب وتخلق مجتمعا متقدما متطورا. . . وفي دراسة الكتاب ستجدون أشياء أخرى شرحها الزميل ليست من مجال البحث اليوم، وأرجو مراجعة الكتاب، وقد صدر كتاب الاشتراكية العربية للأستاذ عبد الرزاق شبيب المحامي ولم أطلع عليه وهو يكمل هذه الدراسة في العراق (١) .

مؤتمر الأدباء والاشتراكية :

وفي مؤتمر الأدباء التي عقد في بغداد بدعوة من جمعية المؤلفين والكتاب طرحت الاشتراكية باعتبارها جانباً من جوانب البناء في الأدب فرأيت أن أشير إلى ثلاث مقالات هي :

١ - القرآن والمفاهيم المثالية للاشتراكية : ألقاها الشيخ أمين الخولي وهو يمثل الجانب الإسلامي في الاشتراكية على ضوء فهم القرآن الكريم فهماً جديداً وتفسيره يكشف عن المفاهيم الاشتراكية التي تحوبه فقد قال : (. . . فإذا ما ساند العرب اشتراكيتهم اليوم بتطلعات أدبهم اللامحة ، فما أولاهم بأن يلتمسوا مساندة هذه الاشتراكية بالتوجيه القرآني ، الذي هو ذروة الأدب ودعوة الأمل للغد . . .) وقال (. . .) وأشعر بضرورة الإشارة الموجزة لمنهج فهم القرآن وتفسيره اليوم ذلك التفسير الذي يكشف عن المفاهيم الاشتراكية فيه ، على أساس من طبيعة العربية وحسها الذي لا يجرى عليه اختلاف ، ولا يحتكم فيه تعصب ، بل يطمئن إليه العربي بعرويته وحدها ، فلا ينكر فهمه ، فيطمئن إليه المتدين بعد ذلك على بصيرة نيرة، ينزل على حكمها الفن والعلم جميعاً وشرح المفاهيم المثالية في القرآن الكريم التي تحد من التملك الفردي ولكنها تعترف

(١) أخبرني به الأخ الدكتور عبد الحسن زلزلة وقال إنه طبع أكثر من مرة .

بالمملكة الفردية بتهذيب غريزة التملك وتحويل الميول تحويلاً نفسياً مدبراً
بإتقاء الشح وتهديد مكنتز المال وعدم إخراجهم للمنافع الاجتماعية
وتقديم الجزاء الحسن لمن ينفق في سبيل الله ويخرج السكاتب بأن مفاهيم
القرآن المثالية أوسع أفقاً من الاشتراكية التي يتحدث عنها للشعب العربي
اليوم وهو لا يرى أن تسمى مثالية القرآن بالاشتراكية لأنها مثالية جاوزت
آمال الاشتراكية .

٢ — الجذور التاريخية للاشتراكية العربية للدكتور عبدالعزيز الدوري

وقد يبحث الدكتور الدوري في الثورة العربية الهادفة إلى تحقيق الحرية
والوحدة وبناء المجتمع العربي في ظل العدالة والرخاء وأثر الفكر في التنوعية
والتمهيد للثورة ولعل البحث من البحوث النادرة القيمة التي أرجو أن
تقرأ من قبلكم بامعان فقد وضع الباحث آراءه بأسلوب مركز عميق لما
بحث في المفهوم التي تنطوي عليه الاشتراكية العربية ورأى ضرورة
الاستناد على الإرث الحضاري والقيم العربية مع بعثها وتجديدها فقال :

(إن الاشتراكية العربية ليست صورة أخرى للباركسية . وإنما
انبعثت من واقع الأمة العربية ومن إرثها الحضاري ، وإنها تمثل قيمها
الأساسية ومفاهيمها الخلقية وهذا لا يعني عزلتها بل إنها في الوقت نفسه
تستفيد من خبرات الأمم الأخرى ومن نتاج الفكر الإنساني لإغناء
ذاتها) .

(إننا حين نؤكد على الجذور العربية الإسلامية للاشتراكية
العربية ، ونؤكد على تمثلها للقيم العربية الإسلامية ، وللنظرة
الإسلامية للحياة ، لا نقصد البحث عن مبررات الاشتراكية منقولة ،
في التراث أو أحداث التاريخ العربي الإسلامي ، لأن هذا لا يعدو وضع

أفئعة شفافة على نظام منقول ، إننا نريدها اشتراكية عربية في جذورها الحضارية وفي قيمها ونظرتها ، مفتوحة على خبرات العصر .)

وتحدث الدكتور الدورى عن الأعمال التى قام بها التراث الحضارى فى سبيل بث العدالة الاجتماعية وطرق إصلاحه دون الإضرار بالشعب ، واتجاه المجتمع الإسلامى لفرض عيّنات ومرتبّات من الطعام وتقليل الفروق بين الرواتب وضمان حد أدنى للمعيش .

ثم قال : (. . واعتبر الإسلام الموارد الطبيعية الرئيسية ملكاً مشتركاً للأمة . وهذا شمل الكلاً والماء وخطب الوقوف ، ثم شمل الأراضى وطبق ذلك على الأراضى المفتوحة ، واعتبر المعادن فى جوف الأرض ملك الأمة فى الأساس تستغلها مباشرة إن أرادت أو سمح باستغلالها على أن يكون خمس واردها لبيت المال . .)

(ويحجب ذلك ترك الإسلام مجال للنشاط الفردى ، فالأرض الموات فى الأصل للأمة ، لها أن تحيىها وتفيد منها ، ولها أن تسمح للأفراد بإحيائها . وكذا الأمر بالنسبة للمعادن فهى فى الأصل للأمة وقد تسمح الحكومة للأفراد أو الشركات باستغلالها مقابل دفع الخمس ، كما حصل بالنسبة للمناجم على حدود النوبة) .

كما تحدث عن الميراث ومنع تكسب الثروات والتطورات الاقتصادية التى طرأت على الفكر الإسلامى وكنت أتمنى أن يوسع الموضوع فففيه إشارات من الضرورى شرحها للقارىء العادى .

وختم المقال بقوله :

(إن العدالة الاجتماعية التى ننبشدها تمثل فى الاشتراكية العربية وهي

حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الإنسانية ، في تفاعلها الإيجابي مع واقعنا وفي
سدبيل المجتمع الجديد الذي نريد مستفيدة في تطبيقاتها من تجارب البشرية
وتطورها العلمي (١) .

٣ — المفاهيم القومية الاشتراكية للدكتور ياسين خليل

وسبق أن عرضت لكم رأيه في كتابه (القومية والاشتراكية) وليس
في هذا المقال جديد فقد جاءت آراؤه مطابقة لأرائه السابقة فقد نشر
الكتاب بعد هذه المقالة .

(١) دور الأدب في معركة التحرر والبناء مؤتمر الأدباء العرب الخامس بغداد ١٩٦٥ .
لاحظ القسم الثاني منه .

الفصل الخامس

الشعر والاشتراكية

قدمنا في المحاضرات الماضية فكرة سريعة عن الاشتراكية والاشتراكية الغربية ورأينا أثر الاشتراكية في النثر وكيف وردت في صيغ مختلفة ولم يكن بالمستطاع أن نخصي الكتب الاشتراكية فقد كتب في مصر كثيراً عنها ، ألبس فيها الكتاب لباس الاشتراكية كل المفكرين وقادة الرأي السابقين وجمعوا اشتراكية الخديجة الكبرى ولعمر بن الخطاب وغيرهما وما كان أغناهم عن هذه العناوين ، وقد قرأت أحدهذه الكتب فما وجدت للفكر الاشتراكي أثراً في الكتاب إلا صفة المضاف والمضاف إليه ، كما قرأت قسماً آخر منها فرأيت فيها الإكثار من اللف والدوران في العبارات والحرص الشديد على أن يكون الكتاب ضخماً كبيراً ومثل هذه الأمور تبعد الشعب عن جوهر الموضوع في عصر نحتاج فيه إلى الدراسات الجدية العميقة لأننا نحيا في دور من أدق الأدوار الذي نحتاج فيه إلى فهم عميق ودراسة مجدية ، ووضع حلول منطقية يمكن تطبيقها على المجتمع العربي الحاضر .

والاشتراكية بدأت كما رأينا تدخل إلى الفكر العربي في القرن التاسع عشر وكانت محدودة الأثر في كتابات بعض المفكرين والكتاب وقادة الإصلاح الاجتماعي وبدأت الدعوة لإصلاحية تطالب بإصلاح شامل لا يفرق بين المدينة والقرية والفلاح وابن المدينة ، فقد كانت حالة الشعب العربي كله حالة تدعو إلى الألم والمرارة ، من تأخر وانحطاط . وقد قسمت البلاد العربية إلى أقسام ، ووجدنا الإقطاع ينشعب برائته في قلب الفلاح في الريف ، وانتشر الفقر في المدن ، على الرغم من أن كثيراً من الأقطار العربية وافرة المياه ثرة الخيرات ، ولم يكن للفلاح قانون يحميه ، أو نظام يرد عنه غائلة الإقطاعي ، فيجد كأن يطرد من أرضه ويلاحق حتى في المدينة ،

إذا ما هرب من سطوة الإقطاع. وعاش في بيوت قدرة صغيرة مع حيوانات الإقطاعي ومواشيه .

وقد حاولت بعض الحكومات أن تصلح حال الفلاح، وتسكن القوانين لحمايته . ففي العراق شيدت بعض القرى لرفع مستواه الصحى والاقتصادى ، وشجعت على الملكية الصغيرة مثل مشروع الدجيلية، غير أن كبار الإقطاعيين استعملوا نفوذهم فى وقف القوانين التى سنت لحمايته ، خوفاً من أن يفتشروا الوعى بين الفلاحين ويحسوا بالظلم الذى ينزله الإقطاعى بسوحهم .

وفى المدن كان الفقر المدقع منتشر بين أكثريّة الشعب الجاهلة المريضة ولم يكن أمام الشعراء ، إلا رسم صور لهذا الفقر ، وتسجيل الحوادث والنكبات ، التى تمر بالفقير . ولم يكن هذا الشعر إلا احتجاجاً صارخاً على ما حاق بالشعب العربى من مصير شىء . وثورة عارمة ضد السلطات التى ارتضت أن يكون أبناؤها فريسة للتأخر والانحطاط وأكثر الشعراء الذين أحسوا بمشكلات الفقير وقضاياهم من الطبقة الفقيرة ، أو الطبقة المتوسطة لذلك فقد كان شعورهم صادقاً ، وإحساسهم عميقاً : وقد كانت الدعوة عامة لاصلاح حال الشعب والمطالبة بالطعام والكساء ، للعامل والفقير والفلاح .

وأكثر هذه المشاعر مدفوعة بعامل الرحمة والحنان ، والشعور بالآزمة التى يعانيناها الفقير والفلاح . سجل فيها الشاعر ذاتية مطلقة ، ورغبة نفسية عاشها الشاعر فى فترة من فترات حياته ، أو عاصرها وأحس بها فى المحيط الذى يعيش فيه ، ف شعر مثل هذا الشعر لم يسجل إلا الصورة المثيرة ، لاستدراك العطف ، والمطالبة برعاية هؤلاء المساكين ، ولم يكن الشعراء فى فترة الاحتجاج يطالبون بغير إثارة الرحمة ، ولم يفسكروا بتغيير النظام الاجتماعى والسياسى ، لإحلال العدل الاجتماعى بين الطبقات المعوزة . وانتشار الفقر

والمرض والجهل زاد في الإثارة والاحتجاج ، ولكن رد الفعل كان هادئاً ،
بادىء الأمر ثم تحول إلى ثورة هادرة وحملة عنيفة على الأغنياء الرافقين في الحلي
والخلل ، الذين يعيش إلى جانبهم الفقير يتضور جوعاً ومسغبة ، ونكاد لا نجد
شاعراً في العصر الحديث إلا ونظم في القضايا الاجتماعية ، والإصلاح .
وليس من السهولة التمثيل من جميع الشعر العربي الحديث . ولو قرأتم شعر
معروف عبد الغنى الرصافي وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وعلى الشرقى
وعبد الرحمن البناء ، وليليا أنى ماضى ، وأحمد الصافي النجفى والجواهري
والحبوبى لو جدم فيضاً آخراً من الشعر الذى عنى بالمشكلات الاجتماعية .

أحمد شوقي

وسأقف معكم على نماذج من شعراء مصر وشعراء العراق ، وأترك لكم
البحث عن مثل هذا الشعر في البلاد العربية الأخرى . لتوفر النماذج من
هذين القطرين بين يدي . وبالأرغم من ظهور كلمة « اشتراكية » فى شعر عدد
من هؤلاء الشعراء فقد كان أكثرهم يذكر هذه الكلمة دون أن يفهم أصلها
وما تعنيه ، لكنه سمع بأنها حركة إصلاح اجتماعى ، ولم تكن الاشتراكية
واضحة فى المفهوم الذى حددت له اليوم . وقد فهم شوقي أن الاشتراكية
إصلاح يرغم الناس على قبوله ، ويطبق بالقوة والعنف ، خلاف
تعاليم الرسول الذى داوى المجتمع الإنسانى بالهدوء وجعل الزكاة وسيلة
من وسائل الاشتراكية فقال :

والله فوق الخلق فيها وحده	والناس تحت لوائها أكفاه
والدين يسر والخلافة بيعة	والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت إمامهم	لولا دعاوى القوم والغلو
داويت متبدأ وداووا طفرة	وأخف من بعض الدواء الداء
والبر عندك ذممة وفريضة	لا منة بمنونة وجبء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله	حتى التقي الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء
فلو أن إنسانا تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء

وأحمد شوقى شاعر مترف ، عاش فى نعمة وكان إحساسه بالفقر
والمرض إحساساً عميقاً لكنه إحساس الرحمة ، وشعور الشاعر الرقيق
المرهف الذى يؤذيه الفقر ، ويتأثر عندما يسمع ما يحل بالفقراء من الآلام ،
فقد عاد من المنفى سنة ١٩٢٠ ، وكان الغلاء قد استشرى فى البلاد ، وعمت
المجاعة مصر ، واحتكر الأغنياء والتجار القوت ، ومنعوه عن أبناء الشعب .
حتى بكى الناس من الجوع ، وضجوا من ويلاته ، فما كان من شوقى إلا أن
طالب شباب النيل أن يرفعوا أصواتهم بالدعوات إلى الله أن يخفف
عنهم الغلاء ، ويبعد عنهم قساوة الجوع . فأرادهم أن يصبروا على البلاء ،
وبرضوا به وكان حرياً به أن يطالبهم بالثورة على هؤلاء المستغلين المحتكرين ،
الذين لا يملكون رحمة ، ولا يشعرون بواجب . إلا أن تطفح خزائهم
بالأموال ، وإن مات الناس جوعاً فى الشوارع ، وتضور الصبية والأطفال
على الأرصفة ، فقد قال شوقى :

شباب النيل إن لكم لصوتاً	ملى حين يرفع مستجاباً
فهمزوا العرش بالدعوات حتى	يخفف عن كنفاته العذابا
أمن حرب البسوس إلى غلاء	يكاد يعيدها سعباً صعباً
وهل فى القوم يوسف يتقيها	ويحسن حسبة ويرى صواباً
عبادك رب قد جاعوا بمصر	أنىلا سقت فيهم أم سراباً ؟
حنانك واهد للحسنى تجارا	بها ملكوا المرافق والرقابا
ورقق للفقير بها قلوباً	محجرة وأكباداً صلابا
أمن أكل اليتيم له عقاب	ومن أكل الفقير فلا عقاباً ؟
أصيب من التجار بكل ضار	أشد من الزمان عليه نابا
وتسمع رحمة فى كل ناد	ولست تحس للبر انتدابا

أكل في كتاب الله إلا زكاة المال ليست فيه باباً
إذا ما الطاعمون شكوا وضحجوا فدعهم واسمع الغرثى السغابا
فما سيكون في ثكل ولكن كما تصف المعددة المصابا

والقصيدة على هذا النسق ، مطالبة بالإحسان ، والرأفة بالفقر ، وتراه يقول الغرثى السغاب ، ولم يقل الغرثى الغضاب ، لأن شوقى لم يفكر بالثورة أو الاحتجاج شأن غيره من المصلحين والمفسكين ولم تدر في خلده الثورة والعنف . وفي مثل هذا الأسلوب تراه يسير في قصيدته العمال ، فبعد أن وصف العمال وصفاً غنائياً لطيفاً وقف فيهم واعظاً يعظمهم ، وخطيباً ينصحهم ويرشدهم . فكان من نتيجة هذه النصيحة أن طالبهم بالاستماتة في العمل ، وحذرهم من الثورة عند المطالبة بالحقوق ، ولم نجد صاحب رأس مال سلم حقوق العمال بالسهولة التي وصفها شوقى ، لأن جشع هؤلاء لا يوقفه سوء حالة العامل ، وترديها فقال شوقى :

أيها العمال أفندوا الـ عمر كدا واكتسابا
واعمروا الأرض فلولاً سمعكم أمست يبابا

ولإذا ما احتاج العامل إلى المطالبة بحقوقه ورفع حاله الإقتصادية فيجب أن يكون رقيقاً هيناً كأنما هو صاحب الحول والطول ، وكأنه صاحب السلطة الذي يترفق بالمحكوم قال :

أطلبوا الحق برفق واجعلوا الواجب دابا

ومن الطريف أن يتصور شوقى هؤلاء ، يشربون الخمر ، ويلبسون ويجمعون الأموال لذلك نراه يطالبهم بترك الخمر ، ورجاهم جمع المال ، ونسى شوقى أن أجورهم في زمنه تكاد لا تكفيهم للطعام والشراب والسكنى .

وفي قصيدة له نظمها بمناسبة موت الكاتب الروسى الكبير تولستوى

نظمها سنة ١٩٢٠ عرج الشاعر فيها على الفلاحين الذى تصورهم ليكون الكاتب
الروسى الذى أنصفهم فقال :

ويندب فلاحون أنت منارهم وأنت سراج غيبوه منير
يعانون فى الأكواخ ظلمة وظلمة ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضا عليهم وتغشى دورهم ونزور

وقد تغير موقف شوقى عندما تحدث عن الفلاح الروسى ، وتحدث عن
الظلم الذى يعانى به ، والظلام الذى يسيطر على داره ، والجور الذى كبه ،
حتى لا يستطيع الحديث ، ولما ابتعد عن جو مصر نراه يتحدث بحرية تامة
يقارب فيها درجة الاحتجاج على الفساد الذى انتشر فى أرجاء المعمورة ،
والذى لا يصلحه الإحسان ، ثارت الحسرة وسورة الاحتجاج فى نفسه ،
هذه المرة وأراد أن يثور ولكنه وقف عند حد الوصف المؤلم الذى يدعو
إلى الثورة والسخط فقال :

وهل عاجل الإحسان والرفق عالم دواعى الأذى والشر فيه كثير
وهل عاجل الأحياء بؤساً وشقوة وفلّ فساد بينهم وشرور (١)
وأرجو مراجعة شعره فى الشوقيات ومسرحية كليب باطرة ففيها أبيات
تدعو إلى الإصلاح من أثر قراءة الفكر الاشتراكى .

حافظ إبراهيم :

ولا يختلف حافظ إبراهيم ابن الشعب واللاصق بالفقر ، عن أحمد
شوقى فى معالجته المشكلات الاجتماعية ، فهو يعالج الأمر بهدوء ، وإن كان
هذا الهدوء ، يطفح بالحسرة ، ويفيض باللوعة والألم والمرارة والسخرية
اللاذعة ، فلنقف عند هذا البيت :

جرى بها الخصب حتى أنبتت ذهباً فليت لى فى ثراها نصف فدان

(١) ديوان شوقى ج ١ ص ٧٦ و ١٥ و ج ٣ ص ٨٧ .

لأنه إنسان يرى بلاده تجري ذهاباً وهو لا يملك فيها حتى أقل من القليل
المحدود . لم يطلب غير نصف فدان ليحس أنه يملك في ثرى هذا الوطن
شيئاً ، ومع هذا الشعور العميق بالشجن فلم يثر على حياة استغلالها حفنة
الغرباء ، وتركوا أبناء مصر جوعاً ، . ويؤكد هذا الرأى فى قصيدته التى
نظمها فى حريق ميت غمر سنة ١٩٠٢ الذى ترك الفقراء بالعراء يهيمون
على وجوههم جوعاً وذلة ، فقال :

أيها الرافلون فى حلال الوشـى حى يجرّون للذيول افتخارا
إن فوق العراء قوماً جوعاً يتوارون ذلة وانكساراً

وقد كتم ثورته فى قلبه ، وأراد أن يبك السخط والثورة ، فى المقارنة
التي عقدها بين هؤلاء المنكوبين الذين لا يقدرّون على الحصول على المأوى
والطعام ، وبين أولئك المترفين الذين رفلوا فى عرس الأمير حيدر رشدى ،
وأنفقت فيه الأموال هدرأ ، وضاعت فيه مظاهر الوقار والادب فقال :

قد شهدنا بالأمس فى مصر عرساً

ملاً العين ، والفؤاد انهبأراً
سال فيه النضار ، حتى حسبنا

أن ذاك النضار يجسرى نضاراً
بات فيه المنعمون بليـل

أخجل الصبح حسنه ، فتوارى
يكثسون السرور ، طورا وطورا

فى يد الكاس يخلعون الوقاراً

ثم يقارن بين الغنى المترف ، الذى يبدد أمواله بالكتوس معربداً وبين
الفقير المملق الجائع . ويعود إلى الهدوء ويجعل الأمور مقدرة ، والحياة
حظاً من الحظوظ ، ويقتل فكرة العمل والطموح فى النفوس فقال :

جل من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يبكى الديار (١)

حافظ وعمر بن الخطاب :

وفى قصيدته المشهورة يقف عند حياة عمر بن الخطاب ويجعله مثلاً يجب أن يهتدى به المسلمون ، لأنه إنسان حاسب نفسه ، وحاسب زوجته ، ولم يدع لأى إنسان أن يستغل أموال المسلمين ، والقصة كما تعلقون ، هى أن زوجة عمر بن الخطاب اشتتت الحلوى فقترت من حصتهم فى الطعام فأخذت تجمع قليلاً من الدقيق يومياً لتشتري بها الحلوى ، ولما علم الخليعة بالأمر نار لأنه أحس بأنهم يقدرّون أن يعيشوا بطعام أقل مما فرض لهم ، فيأمر برد الفائض الذى جمعه زوجته من الطعام خلال خمسة أيام إلى بيت المال . ويختم الشاعر القصة ببيت هو :

ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى ، فقوى لبيت المال رديها

ويحدثنا عن قصة مشهورة فى التاريخ لعمر بن الخطاب ومختصرها أنه رأى إبل ابنه عبد الله سمينة وكان قد اشتراها من إبل الصدقة فرأى أنه استفاد من سمعته خليفة وأشبعها فربح فى التجارة فما كان منه إلا أن يرد الربح إلى بيت المال :

فقلت ما كان عبد الله يشبعها لو لم يكن ولدى أو كان يروها
ردوا النياق لبيت المال إنه له حق الزيادة فيها قبل شاربها
وهـذه خطة لله واضعها ردت حقوق فأغنت مستميجها (١)

وبعد أن نظم هذه الحادثة يعود إلى الاشتراكية المعاصرة ويرجعها إلى المسلمين وقادتهم بقوله :

(١) خلاصة القصة أن ابنه عبد الله اشترى إبلاً وتركها ترعى فى الحى ، فلما سمعت ذهابها إلى السوق ليبيعها ، ورأى عمر بن الخطاب الإبل السمان وسأل عنها فقبل له لأنها لابنه فنادى يا عبد الله بن عمر . فأسرع إليه ولده ولما سأله عنها قال له : إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحى كما يفعل سائر المسلمين ، فقال وهو يؤنبه : وكانوا فى ذلك الحى يقولون اسبقوا إبل ابن أمير المؤمنين ، ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، يا عبد الله يا بن عمر مع الإبل واحفظ عليك رأس مالك وما زاد على ذلك فاجعله فى بيت مال المسلمين .

ما الاشتراكية المنشود جانبها بين الورى غير مبنى من مبانها
فإن نكن نحن أهلها ومنبتها فإنهم عرفوها قبل أهلها (١)

وشعر حافظ فيه دعوة واضحة وصريحة للإصلاح بهدوء ، وهو يحذر
من ثورة ترتكب يكون من جرائم ارتكاب الآثام ، وخوفاً من ذلك طالب
المصلحين أن يصلحوا نفس الفقير . وكيف يكون إصلاح نفوس ترى
نفوس الأغنياء وقد ركبها الجشع ، وسيطر عليها حب المال ، وفقدت الرحمة
والشعور بالمسؤولية ؟ فقال :

أيها المصلحون أصلحتم الأرزاق وبنتم عن النفوس نياما
أصلحوا أنفساً أضربها الفقـر ، وأحيا بموتها الآثاما
ومن السخریات اللاذعة في الشعر المصرى :

يا بائع الفجل بالمليم واحدة كم للعيال ؟ وكـم للمجلس البلدى ؟
وحافظ كما قلت شاعر الشعب الذى تجرع الصاب والعلقم في حياته
وأحس بأنه صاحب رسالة اجتماعية فكثرت في ديوانه النظرات الإصلاحية
التي صدرت عن وعى ولا وعى مسجلة فيها حياة الفاقة والأحزان ، التي حاقت
بالشعب ، فقد تمرس بالخطوب وهزت الآلام قلبه ، وكان من جراء هذا
الشعور أن استجدى عطف الأغنياء ، واستعطفهم على البائسين والمساكين ،
ولم نر في شعره ثورة الساخط ، وسخط المتألم ، رغم أن تجربته الشخصية ،
اندججت بالتجارب العامة فصاغها بأسلوب جميل ، وعاطفة صادقة . ولعل
الطبيعة الهادئة السمحة ، والبيئة الرضوية ، النابعة من طبيعة الشعب المصرى ،
الهادىء اللطيف ، أثرت في كسر حدة الثورة في شعر الشعراء ، فلنختتم
هذا العرض السريع بوصف حافظ لأحد أفراد هذا الشعب الذى
وصف نفسه فيه :

دُثَّتْ طعم الأسي وكابدت عيشاً دون شربي قذاه ، شرب الخمام
فتقلبت في الشقاء زماناً وتنقلت في الخطوب الجسام
ومشى الهم ، ثاقباً في فؤادي ومشى الحزن ، ناخراً في عظامي
فلماذا وقفت أستعطف الننا س على البائسين في كل عام (١)

أحمد الكاشف :

وقد أكد الكاشف إن الاشتراكية حتمية ولها السيطرة الأخيرة على المجتمع :

للإشتراكية العقبى إذا شملت شتى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا السكثيرون ملكا للأقلينا ولا الأقلون ملكا للكثيرينا
ولا نرى واحدا ملأى خزائنه بالمغنيات وآلافا يجوعونا
ولا نرى درة في رأس محتكم تهفو إليه قلوب المستظلمينا (٢)

العراق :

وسأقف معكم وقفة أخرى عند الشعر العربي في العراق ، وأرجو أن يتابع الإخوان الزملاء القادمون من شمال أفريقيا العربي خطواتي في الدراسة ، لأن تاريخ الأدب العربي سجل أمين للحياة العربية ، في محاسنها ومساوئها ، ومن دراسته نتعرف على التطور الفكري للقطر ويجلو كثيراً من أمور تتعلق بالتقاليد والعادات .

ويختلف الأدب عن الفنون الجميلة الأخرى بدقة رسمه للحوادث وتطورها وتفصيلها لأنه يلم بجوانب متسعة لا يمكن للرسم أن يلم بها

(١) المصدر نفسه ص ٣٠٤ و ٢٧٥ و ٢٩٢ و ٦٣١

(٢) في الأدب العربي الحديث للمكاتب ص ٣٨ ولاحظ رأي الزماوي في الصفحة نفسها .

أولاً للذمت أن يحيط بجوانبها ، وشتان بين رسام يرسم الصور الفكرية والمعاني الاجتماعية وبين رسام يصف مظاهر الحياة وصورها بدقة وإحاطة وتفصيل .

والأدب في العراق يختلف اختلافاً واضحاً عن الأدب العربي في مصر ، فالأديب في العراق يرسم الصورة بعنف وجروح وقوة تقود الإنسان إلى الإحساس العميق بضرورة تغيير نظام الحكم وتدعوه إلى الثورة والسخط والتبرم ، ولا يخلو من جماعة يرسمون الصور الاجتماعية الهادئة الهادفة إلى الإصلاح بهدوء وتؤدة .

وقد عالج الشعر في العراق مشكلة الفلاح والاقطاع والفقر والمرض ولم تشغله التيارات السياسية عن البحث في إبراز هذه المشكلات وتصويرها ليحس الشعب بها . فقد بدأ بالاحتجاج عندما رسم الصور الحزينة ، ومشاهد البؤس المؤلمة للفلاح الذي لم ينل أى تطور اجتماعي ملموس يغير به حياته ، وفقد الضمان الذي يحميه من سلطة الاقطاعي الذي كان أول الأمر رئيس القبيلة وشيخها ، والفلاح ابن العشيرة فاستحال الفلاح تابعاً وأصبح الشيخ اقطاعياً فبعدت الشقة بين الأبناء الذين كانوا متضامنين (١) .

عاش الفلاح في جوع قاتل ، ومرض فتاك ، وجمل مطبق ، حتى قدرت الباحثة الانكليزية دورين وارنر معدل دخل الفلاح السنوي ما بين خمسة ياونات إلى خمسين وعلى أحسن الظروف فلم يزد هذا الدخل على الدينارين شهرياً . فما يصنع الفلاح بهذا المبلغ الضئيل ؟

(١) تراجع التفاصيل في كتابها (الشعر العراقي الحديث) الفصل الخامس والشعر العراقي الاجتماعي (بالإنكليزية) .

محمد صالح بحر العلوم

وقد انعكست حالة الفلاح بفقره وشقائه في شعر الشعراء وبالأخص الشعراء الذين احتكوا به وعاشروه من قرب ومن شعراء الفلاح محمد صالح بحر العلوم الذي أهدى ديوانه (١) الأثر إلى الفلاح .

وفي الديوان وصف لحالة الفلاح وبؤسه وشقائه ومرضه وتأخره ومن قصائد هذا الديوان (الحى المقبور) وصف معاناة الفلاح واستغلال أصحاب الثروات له دون أن ينصفوه ، فهو يأكل أرذاً الأطعمة ، ويتحمل زهمير الشتاء وحر الصيف صابراً ، لأن الأغنياء ليست لهم أحاسيس تشعر بما يعانيه هذا الإنسان وعندما نظم قصيدة في ثورة ١٩٢٠ سماها ثورة الفلاح اعترافاً بفضل في البذل والفداء والتضحية في سبيل الوطن والدفاع عن حياته ضد المستعمر الذي دخل بلادنا وقصيدة ناثلة له اسمها الفلاح استعرض خلالها حياة الفلاح البائسة وقارن هذا البؤس الضارى مع الترف المبطر فقال :

أنت يا فلاح عانيت البلاء واجتنى غيرك أثمار التعب
تسهر الليل لجعل الأغنياء بارتياح وهناك وطرب

ورأى أن القصور التي يسكنها الأغنياء هي ملك الفلاح الذي كد في سبيل بنائها ورفعها شائخة الذرى فقد سرقت أتعابه وخيرات في سبيل هذا البناء ، وطالب بالثورة على هؤلاء .

فقال :

حلمت آهات شكواك على جاحدى فضلك ليلا في السما

(١) العواطف وطهم سنة ١٩٣٧ وقد اعتمدنا عليه في النصوص الشعرية .

فاستحالت شهباً ترعى الملا وترى من لا يراعى الذمما
فاترك الزرع ونح المنجلا عنك حيناً واملاً الأرض دما
وبجد السيف حاسب دولا يذنها حقك أضحي مغنما

لاحظوا الشعر وقارنوه بين شعر شوقي الذى طلب أن يصرخ الشعب
بالدعوات لفك أزمة الغلاء وبين (واملاً الأرض دما) و (بجد السيف
حاسب دولا) ففي الشعر عنف وقوة بعد أن يئس الشاعر من رحمة الأغنياء
والإقطاعيين ومن قوله فى استعمال القوة والعنف فى استحصال الحق :

يا ابنة الريف اجمعى لى خطبا وخذى من زفرائى ضرما
واحرقى كل ظلوم غاشم يحد اللذة فى أن يظلمها
واتركى الرحمة فالتاس هنا همج يحتمقرون الرحما

شعراء آخرون :

وشعر الاحتجاج والثورة فى العراق كثير وأكاد أقول إن أكثر شعر
العراقيين ثورة واحتجاج وعنف وقد وجدنا شعراء كثيرين نظموا فى
مشكلات الفلاح والريف والإقطاع أذكر لكم أسماء الذين أوردتهم فى
كتابى الشعر العراقى الحديث وهم حسين كمال الدين ومحمود الحبوبى ومحمد
رضا المظفرى ومحمد جواد السودانى كما جاء بعد هؤلاء نفر ساروا على هذا
النهج لا يمكن أن أحصيههم .

ودعونى أقف معكم مع ثلاثة شعراء نظموا فى مشكلات الفلاح هم
أحمد الصافى النجفى ومحمد مهدي الجواهري وعلى الشرقى .

أحمد الصافى النجفى :

ومن قصائد النجفى المشهورة التى افتتح بها ديوانه (الأمواج) قصيدته

في الفلاح ففيها كثير من المعاني الرائعة وهي أجمل سجل للفلاح في العراق . وقد رجاه في الشعر أن يترفق بنفسه .

فقال :

رفقاً بنفسك أيتها الفلاح	تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك في الصباح على عنائك غدوة	وعلى الطوى لك في المساء روح
هذي الجراح براحتيك عميقة	ونظيرها لك في الفؤاد جراح
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم	ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخر سقفاك ان همت عين السما	ويطير كوخك ان تهب رياح

وبالرغم من عناء الفلاح وآلامه وشقائه في الكوخ الحقيق فقد أثقله الإقطاع بالديون حتى يستولى على حريته ويمسكه أجيراً طول حياته فكانت آلامه سطوراً رسمتها الحادثات على وجهه البائس تنعم بها الإقطاعي قال :

هذي ديونك لم يسدد بعضها	عجزاً ، فكيف تسدد الأرباح ؟
بعضون وجهك للبشقة أسطر	وعلى جبينك للشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لآثا	فيزان منها للغنى وشاح
أنصد جيش الطامعين ولم يكن	لك في الدفاع سوى الصباح سلاح ؟

ولما لم تجدد صيحات الرجاء ولم تنفع حالة الفلاح المتردية في إثارة العطف على الفلاح الذي أصبح لقمة مستساغة يأكلها الإقطاعي وجب أن يقوم الفلاح بعمل ولم يكن العمل ثورة وعنفاً إنما قلمح الأغراس التي غرست فنمت عن الضعيف وحللت على الإقطاع القوى .

يا غارس الثمر المؤمل نفعه	دعه ، فإن ثماره الأتراح
أقلعه فالثمر اللذيذ محرم	للغارسين وللقوي مباح

الجواهرى :

وأترك لكم دراسة القصيدة كلها وتجدها بين النصوص فى آخر الكتاب
ونقف مع الجواهرى وقفة أخرى كان الجواهرى بادىء الأمر هادئاً عندما
تعرض للمشكلات الاجتماعية بصورة عامة فقد وقف فى شعره موقف المتسائل
عن قوة تستطيع دفع الظلم الذى ينزل بالشعب ويتمنى أن يجد مصلحين
يحلون هذه المشكلات الحقيقية ووضع السبل لها للتخلص منها فقد رأى
الفلاحين وهم يتضورون جوعاً تحت سياط الجشع ووجد شعباً يذله
الإقطاع بسطوته وقساوته فيقول :

ألا قوة تستطيع دفع المظالم	وإنعاش مخلوق على الذل نائم
ألا أعين تلقى على الشعب هاويا	إلى حماة الادفاع نظرة راحم
وهل ما يرجى المصلحون يرويه	مواجهة أم تلك أضغاث حالم
تعال يد الإقطاع حتى تعطلت	عن البت فى أحكامها يد حاكم

ويرسم لنا صورة من أجمل الصور الشعرية للفلاح فى الكوخ المظلم
الكثيب وقد بات جائعاً ونام المنعمون فى تخمة قال :

حنايا من الأكواخ تلقى ظلالها	على مثل جب باهت النور قائم
تلوت سياط فوق ظهر مكرم	من اللؤم مأخوذ أبسوط الآلآم
وبات بطون ساغبات على طوى	وأثخمت الأخرى بطيب المطاعم
أهذى رعايا أمة قد تهيأت	لتستقبل الدنيا بعزم المهاجم ؟ !

وأراد أن يقنع السلطة بأن الأمة يجب أن تكون قوية بقوة أفرادها
حتى يدافعوا عن حماها ويذودوا عن كيانها ولا يقدر الجائع المريض
الهزيل على الصمود والقتال فقال :

أمن ساعد بخو هزيل وكاهل	عجز نريد الملك ثبت الدعائم
-------------------------	----------------------------

ولست قرية واحدة موبوءة تستدعى الإصلاح فإن جميع أرجاء العراق
قد عنته الأمراض شبابه وشيبه فالعري والجوع والمرض والذل أوجاع
عنت جميع القرى فقال :

ومروا بأنحاء العراق مضاعة وزوروا قرى موبوءة وبقاعا
تروا ما يثير الصابرين أقله عراة حفاة صاغرين جياعا
وإن شبابا يرقب الموت جائعا متى اسطاع عن حوض البلاد دفاعا

وأدرك الشاعر الجواهري أثر الإقطاع العميق في بلوى القرى العراقية
وأصبح ساكنها . لا يملك من حطام الدنيا إلا أخشاب الكوخ وحصرانه
فليس له من المتاع أو الطعام غير نبضات قلب الفلاح المرتاع من حساب الحياة
الذين لا حقوه في كل شيء ، وأرجو أن تقفوا عند البيت الأخير قليلا .

جل ممي جولة تريك احتقار الشعب والجهل والشقاء جماعا
تجد الكوخ خالياً من حطام الدهر والبيت خاوياً يتداعى
واستمع لا تجد سوى نبضات القلب دقت خوف الحساب ارتياحا
فلقد أقبلت جباة تسوم الحى عنفاً ومهنة واتضاعا
إن هذا الفلاح لم يبق إلا العرض منه يجعله أن يباعا

على الشرقى :

وقد اهتم على الشرقى اهتماماً بالغاً بمشكلات الفلاح فقد اعتبر حلها
سبيلا إلى تقدم الشعب كله لأن الفلاح ركيزة الحضارة في المدينة وبتقدم
الفلاح في الريف تبني حضارة المدن وتتقدم الأمة فقال :

إن تفتش عن ارتياح بلاد فتفقد شئونها والنواحي
ولذا ارتاحت البلاد تهبت في قراها علام ارتياح

والفلاح الذى يحيل الأرض البور إلى جنة من الجنان فتسمق الأشجار
وتزهو الرياض وتموج سنبال القمح من كده يعيش تحت الأشجار
عارياً، ولا يعود عليه من هذا الخير غير الحرمان والآلام والأوجاع .

ما لهذا الفلاح فى الأرض روح؟ أهو من معشر بلا أرواح؟
هو فى جنة ينال عذاباً وهو تحت الأشجار أجرد ضاح
وقرى النمل لطف نفسى أثرى من قرأه ، إلا من الأتراح

وقد أثار على الشرق مشكلة من أهم المشكلات التى كان يعانى منها الفلاح
هى مشكلة فرض الضرائب عليه ، فإن الاقطاعى يأخذ جزءاً كبيراً من
الحاصلات ثم يدفع الضرائب الكثيرة فيضطر إلى الديون التى يأخذها من
المرابين ، فقد انفق على هذا المسكين الاقطاعى والمرابى والدولة ولم يترك
له حتى الطعام الذى يجب أن يعيش منه طوال السنة .

يا ضعيفاً أرى الولاة عليه أعرضت من نصائح النصاح
لم يفده سلاحه فهو ليث قتلوه صبرا بغير سلاح
لو نفذنا لقلب ذلك المعنى لوجدناه مشخناً بالجراح

ويحدد الفوائد التافهة التى تعود على الفلاح ويتساءل بسخرية لاذعة
بقوله :

خص من نهره ومن شاطئيه بخسيس المرعى وبالضحضاح
فى مروج من حولها قد تناغت كل صداحة إلى صداح
ياربوعا حيوانها يتغنى بسرور وأهلها فى نواح

ولما فاض نهر الفرات أبصر الشاعر أُنْاث الفلاح الذى جرى عليها المياه

فرأى حصراً وأخشاباً وجرد ثياب فقال :

كانت حنايا الكوخ فوق خصاصه الغرقى وعام البيت بالأخشاب
ولقد نظرت أثاثه الطـافى فلم أبصر سوى حصر وجرد ثياب
الرصافى :

وقد كانت مشكلة الفقر فى المدن هى التى دفعت الشعراء إلى الاحتجاج
والثورة المكتومة عندما رسموا صور الشعب المبتلى بالأمراض المختلفة
ولعل الرصافى هو خير من وجدنا فى شعره صوراً لهذا الاحتجاج عاش
الرصافى فقيراً وعاش مع الفقراء والبائسين ولو درسنا ديوان الرصافى
لوجدناه خير نموذج لهذا الاحتجاج الروحى والسخط النفسى على حالة الفقراء
فمن الصور التى ذكرتها فى كتابى (الشعر العراقى الحديث) صورة فقير
جائع ليس له من يساعده فى مرضه غير أخت يعيلها لكن المرض ألزمه
الفراش وصرفت كل ماتملك حتى لم يبق عندها قطعة من الخبز ولما طلبه
قدمت له الماء :

رام خبزاً والجوع أذكى الأورا فى حشاه فعملته اصطباراً
ثم جاءت بالماء تبدى اعتذاراً وهل الماء وهو يطفى أورا
يطفى الجوع ذاكياً فى التهاب

رسم الرصافى فى هذه القصيدة أروع صور الفقر وأخلد صور الفاقة
فقد كان الرصافى يرسمه صورة من الواقع يأخذها من حياته ومن البيئة التى
يعيش فيها فجميع شعره الاجتماعى كان صوراً لحوادث حقيقية واقعية
دلت على ما يمتلج فى قلب شاعرنا من الآلام التى عاناها المجتمع البغدادى فى
عصره ولو قرأتم القصيدة لوجدتموها من أروع قصص البؤس والشقاء
فقد صور الرصافى أخاه المريض الذى أخذ يذب المريض فى جسده بسريعة

فوساعد عليه الجوع وتصوروا معي أخته التي لا تملك شيئاً لتعطيه، له . فإن اعتمدت على الإحسان والصدقة لوقت من الأوقات فلن تستمر هذه الصدقة ولو قبض لها الطعام فمن يأتي للمريض بالطبيب إن حياتنا الاجتماعية بحاجة إلى عدل اجتماعي يحس به الإنسان ويشعر بأن له كرامة تبعده عن ذل السؤال وإن له حقاً في هذه الحياة فإن الحياة ليست حكراً للأغنياء الذين ما جاءتهم أموالهم بكدهم وتعبهم إلا النادر القليل وفي القصيدة النتيجة الحتمية للمريض الجائع ولكن ليس الموت هو النتيجة كما تتصورون إنما بعد الموت فمن أين لها بالكفن ؟ ومن أين لها بمن يدفن الميت ؟! إنها أمور تقع في المجتمع الذي ليست فيه عدالة اجتماعية ولا ضمان للمعوز والفقير ، ومثل هذه الصور هي التي تدفع الشعب إلى الثورة والسخط . بعد أن تبدأ صيحات احتجاج واستغاثة ألم . وقد مر الرصافي بدورين من أدوار حياته ففي الأول عالج المشكلات بالوعظ والإرشاد وترهب الناس من سوء المصير الذي ينتظرهم في الآخرة . دون أن تكون له فكرة واضحة عن الإصلاح الذي يريده فقال :

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما قد رحمت
سهر البائسون جوعاً ونمتم بهناء من بعدما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب

كم بذلتم أموالكم في الملامى وركبتم فيه متون السفاه
وبخلتم فيه بحق الإله أيها الموسرون بعض انقباه
أفتدرون أنكم في ثياب

والطور الثاني الذي ظهرت فيه فكرة المقارنة ووضع حل لمشكلات الفقر ولا تظهر عليه وضوح الفكرة الاشتراكية إنما قرأها وفهم شيئاً من معانيها وإنها لا تقر الثراء الفاخش ولا ترضى بالفقر المدفع فنراه في قصيدته

له عن أسرة آل عثمان يقارن بين أبناء الشعب الكادحين وبين أسرة
آل عثمان التي تقضى وقتها في جمل مطبق ولهو دائم فقال عنهم :

هم يعدون بالمئات ذكورا وإنانا لهم قصور مشاله
ولهم أعبد وإماء ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعى والتكسب في الدنا . وعاشوا على الرعية عالة
يتجلى النعيم فيهم فتبكي أعين السعى في نعيم البطالة
يا كلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
ويتهم عليهم بقوله :

ما بهم ما يميزهم عن بني السـ . وقوة إلا رسوخهم في الجاهاله
هم من الناس حيث لو غربل الله . اس لكانوا نفاية وحثاله

وبعد أن يذكر مفسد الحكم السلطاني ويعجب من صبر الشعب على
هذه الفئة الجاهلة يقول أن مثل هذا الاستغلال لانجده في النظام الاشتراكي
ولا تفره الشريعة الإسلامية البيضاء .

تلك والله حالة يقشعر الحـ ق منها وتشمئز العدالة
هي منهم دناءة وشتمار وهي مناس حماقة وضلاله
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله
وهي في الملة الخنيفية البية ضاء كفر برنا ذى الجلاله

وفي قصيدة أخرى نجد الآراء الاشتراكية واضحة تمام الوضوح فقد

(١) للشاعر هلال ناجي كتاب (القومية والاشتراكية في شعر الرصافي) طبع
في بيروت سنة ١٩٥٩ .

ذكر فضلها في بناء كيان الشعب ويدها ، في أن يعيش الشعب عيشة
رضية، وتظهر في القصيدة ذكره لطبقتين طبقة الرافهين الذين سماهم المكثرين
وطبقة المعسرین الذين يكدحون ويكدون في سبيل أصحاب القصور ثم
يخرج شاعرنا بنتيجة إيجابية هي ضرورة تطبيق الاشتراكية القضاء على
التفاوت . . وقد طالب بالإصلاح وقد وجدنا في إصلاحه أثراً واضحاً
من الدين في فكره وقد وجدنا أثر النداء الماركسي المشهور (يا عمال العالم
اتحدوا) في قوله :

أيها العاملون إن اتحاداً بينكم مرخص لكم كل غال
ما لعيش تشقون فيه سقاماً بسوى الاتحاد من إبلال
فليكن بعضكم لبعض نصيراً ومعيناً له على كل حال

وتحدث عن حالة الأغنياء وترفعهم ، وكند الفقراء وشقائهم، في سبيل
إسعاد الأغنياء ونعيمهم ، أصبح الفقراء عبيداً يملأون قصورهم ومن آلامهم
يسقونهم ترفاً ومن شقائهم هناء فقال :

عندنا اليوم في الحياة نظام قد حوى كل باطل ومحال
حيث يسعى الفقير سعى أجير لغنى مستأثر بالغلال
فترى المكثرين في طيب عيش أرغذته لهم يد الإقلال
وترى الغناصين في البحر امسى لسواهم ما أخرجوا من لالى
وترى المعسرین في كل أرض كعبيد والموسرين موالى
أكثر الناس يكدحون لقوم فغدوا في قصورهم والعلالى
واحد في النعيم يلهو وألف في شقاء وأبؤس واعتلال

ويأتى على ذكر الاشتراكية التي تمنع هذا الاستغلال كما منع الدين

الإسلامي من قبل هذا الأمر وضرب مثلاً بما صنع أبو ذر الغفاري فقال :

إنما الحق مذهب الاشتراكية فيما يختص بالأموال
مذهب قد نما إليه أبو ذر قديماً في غابر الأجيال
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا خطوة نحو مبتغاه العالی
مبدأ ذو مقاصد ضامناً ما لأهل الحياة من آمال
موصلات إلى السعادة في العیش هواد إلى طريق التعلی
ليس للمرء أن يعيش بلا كد وإن كان من عظام الرجال (١)

ورأى أن رأس المال يجب أن يكون أداة لخدمة الشعب ولا أريد أن آتى على شرح القصيدة كما فأرجو مراجعتها وستجدون في شعره كثيراً من شعر الاحتجاج في طوره الأول ثم دخله المفهوم الاشتراكي واستغلال الرأسمالي للعمال، وأترك لكم مرة أخرى البحث في شعر الشعراء في العراق ومن هؤلاء محمديهجة الأثرى ومحمود الجبوري وإبراهيم الباجه جي وجواد الشيببي وكاظم الدجيلي ومحمد رضا الشيببي والزاوي ثم جاء جيل بعد الحرب العالمية الثانية فوجدنا فيه أثر الاشتراكية بجميع مفاهيمها وكلماتها وشعاراتها وبعد أن اتخذتها الدولة أداة للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي تغيرت في العراق كثير من المفاهيم فقد سنت قوانين الإصلاح الزراعي وأعطت للعمال حقوقاً ما كانوا يظنون أنهم سيصلون إليها وما تزال الدولة تدرس الأمور الزراعية وأمور العمال غير أن التركة ثقيلة لا يمكن أن تصفى بسهولة كما أن إدارات الدولة بحاجة إلى فهم في تطبيق الاشتراكية فإن كثيراً من يقومون على تطبيق الجهاز الاشتراكي يحتاجون

إلى وعى اشتراكي وقبول الاشتراكية قبولاً وجدانياً حتى يصبح العمل الاشتراكي جزءاً من عمله ومن وجدانه ويمكن تطبيق الاشتراكية تطبيقاً سليماً .

وفي ختام البحث عن الاشتراكية أقدم لـكم قسماً من المصادر التي وجدتها عسى أن تستفيدوا منها فقد أخرجتها من قوائم دور النشر . ومنها تجدون ضرورة دراسة الاشتراكية دراسة جديدة بضوء التيارات الأدبية وعساكم فاعلون .

قائمة الكتب الاشتراكية

دار القلم ١٩٦٧ :

دليل المرأة الذكية إلى الاشتراكية والرأسمالية، برناردشوت ترجمة . د. عمر مكاوي
الاشتراكية والفكر الاشتراكي جلال يحيى

الدار القسومية ١٩٦٥ :

الاشتراكية والتطبيق الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة حمدي حافظ
أسس الاشتراكية العربية تأليف عصمة سيف الدولة
الاشتراكية وسلوك العمال . لمعى المطيعي
معالم الطريق في إعداد الإنسان الاشتراكي
التطبيق الاشتراكي ومشكلاته محمود زكي راشد
الاشتراكية العربية والوحدة محمد نخش
مستقبل الاشتراكية سي اي آر كروسلاند ت خيرى حماد
ماهى الاشتراكية البريطانية هارولد ويلسون لجنة كتب سياسية
الشرطة في مجتمعنا الاشتراكي بهاء الدين ابراهيم محمود

قائمة دار المعارف (الكتب المتخصصة) ١٩٦٧ :

التخلف والاشتراكية في العالم العربي د. جلال يحيى
النظم الاشتراكية ، مع دراسة مقارنة للاشتراكية العربية د محمد على أبوريان
الاعلام والتحول الاشتراكي د. مختار النهاى
في الحرية والاشتراكية والوحدة د. مصطفى أبو زيد فهمي
الاشتراكية العربية الدكاترة صلاح الدين نادق و مصطفى عبد الله
وعبد الحميد مصطفى

في ظل النظام الاشتراكي الديمقراطي التعاوني مجلدان
أسس علم الاقتصاد الاشتراكي د. محمد عبد الودود خليل
فلسفة الاشتراكية التعاونية وفلسفة التعاون د. محمد عبد الودود خليل

قائمة الدار القومية يوليو ١٩٦٥ :

قادة الفكر الاشتراكي . جلال حسن صادق
مبادئ الإسلام والاشتراكية . السعيد الشرباصي
حقيقة الاشتراكية . أمين شاكر وسعيد العريان وعلى أدهم
الاشتراكية . يحيى عويس
اشتراكية القرن العشرين إعداد الاتحاد الاشتراكي البريطاني جزآن
الاشتراكية في تطور . جورج هربرت كول
التخطيط الاشتراكي والمساواة الاجتماعية . س. ر. كروسلاند
الرواد الأول للاشتراكية . كدول ترجمة عبد الله الشفقي
الاشتراكية التعاونية هاري وليدلر
سياسة الاشتراكية الديمقراطية ليفان ويرين
الاشتراكية قومية أم دولية فرانز بورتينو
الحركات الاشتراكية الاقتصادية المقارنة ولیم لوکس هارفي ترجمة محمد هنائي
الاشتراكية الحية جون مرشقي ترجمة دانيال رزق
الاشتراكية في عهد الذرة جون إيتون ترجمة جرانت اسكندر
الاشتراكية والمجتمع الجديد دوجلاس جاي ترجمة اسكندر
الاشتراكية وممارسة السلطة بول راماديه ترجمة الدكتور جلال صادق
الاشتراكية الفالابية مارجريت كول ترجمة محمد عبد الرزاق مهدي
قضية الاشتراكية دوجلاس جاي ترجمة جميل الذهبي
الاشتراكية في الهند سام يبرناند ترجمة طه عمر
الراسمالية والاشتراكية والديمقراطية جوزيف شمبيتر ترجمة عبد المنعم درويش
سياسة اشتراكية من أجل الشباب جول مالفيل ترجمة فاطمة عبد الله

الاشتراكية جورج بورجان وبير شير ترجمة الدكتور جلال صادق
الاشتراكية والطبقات المتوسطة أندرو جرانت ترجمة فريد مصطفى
مقالات في الاشتراكية النقابية جورج برنارد شو ترجمة محمد عبد الله الشافعي
الراسمالية والاشتراكية والديمقراطية جوزيف شوبنر ترجمة خيرى حماد
تاريخ الاشتراكية البريطانية ترجمة نبيل يوسف علام
نحو مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني عبد المنعم شمس والدكتور عبد العظيم محمود
نحو الاشتراكية جون ستراتش
الاشتراكية التعاونية برنار لافيرني ترجمة لجنة كتب سياسية
اشتراكيتنا والشيوعيون العملاء لجنة كتب سياسية
اشتراكيتنا العربية عبد المنعم شمس
الاشتراكية الزراعية في كندا س. م. لبست
الثورة الاشتراكية ليفان كريبو
التعاونية في مجتمعنا الاشتراكي سعد عفره
مع المجتمع الديمقراطي الاشتراكي التعاوني عابد عبد الرزاق
'فلسفة الاشتراكية' للدكتور محمد الهوى
الاشتراكية وسياسة التوجيه الاقتصادي عبد السلام أبو السعود
الاشتراكية الديمقراطية التعاونية بطرس غالى ومؤلفان
حول النظرية الاشتراكية الدكتور عبد القادر حاتم
تحقيق الاشتراكية في اقتصاد الاقليم الشمالى الدكتور صادق الايوبى
اشتراكيتنا في مجال التطبيق رافة الخياط
الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ابراهيم محمد البرايرى
الاسلام دين الاشتراكية الدكتور رفعت المحجوب وآخرون
قالوا عن الاشتراكية مقالات صحفية
الاشتراكية الديمقراطية التعاونية محمد كامل العبد
البناء الاشتراكي صبرى أبو المجد

في ظلال المجتمع الاشتراكي الدكتور أبو اليزيد علي المنيت
 الاشتراكية العربية ومكانتها في النظم الاقتصادية الدكتور جمال سعيد
 القيادة في المجتمع الاشتراكي عبد الله بلال
 الاشتراكية في أقوال الرئيس جمال عبد الناصر
 الاشتراكية والإسلام العقيد محمد السعيد
 على طريق الاشتراكية للرئيس جمال عبد الناصر
 على طريق الاشتراكية من مكتبة الرئيس جمال عبد الناصر
 مشاكل التطبيق الاشتراكي وتجربة الخطة الخمسية الأولى علي صبري
 معالم الطريق في إعداد الإنسان الاشتراكي مصطفى المستكاري
 المنهج العلمي والاشتراكية أحمد محمد خليفه
 في الاشتراكية العربية صلاح نخيمر وميخائيل رزق
 الاشتراكية والتطبيق الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة حمدي حافظ
 ملامح المجتمع الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الرئيس جمال عبد الناصر
 الاشتراكية الديمقراطية التعاونية لمي المطيعي
 الاشتراكية والعلم محمد عاطف البرقوقي
 اقتصادنا الاشتراكي عطيات محمود جاد
 الاشتراكية والميثاق محمود محمود
 حرية اشتراكية وحدة الدكتور حسين فوزي النجار
 العمال في مجتمعنا الاشتراكي عبد الفتاح شلبي
 اشتراكييتنا في الأجور عبد الرحمن بكر
 مسؤولية الفلاحين والعمال في المجتمع الاشتراكي عبد المنعم شراكي صالح
 رسالة اشتراكية فوزي عبد الحميد
 الأجور في المجتمع الاشتراكي أمين عز الدين
 صناعتنا في ظل الاشتراكية الدكتور دة صادق

حمدان الاشتراكي عبد المنعم شمس
الخدمات الزراعية في مجتمعتنا الاشتراكي طاهر حسن درة
الاشتراكية وسلوك العمال لمحي المطايعي
مكاسب الجندى الاشتراكية المقدم اح محمود طنطاوى
الاشتراكية العربية كفاية وعدل ثابت الطناحي
طريق الاشتراكية أحمد يوسف القرعى
التطبيق الاشتراكي ومشكلاته محمد زكى راشد
الاشتراكية العربية والوحدة محمد نخش

الفصل السادس

القومية والشعر الحديث

وأعنى بالتيار القومي : التيار الذي يمثل الوعي العربي بأشكاله المختلفة ومظاهره المتنوعة ، والذي عبر عن شعور الأمة العربية بكيانها وإحساس الشعب العربي بذاته وبحقه في حياة كريمة . وقد سمي هذا الإحساس بالوطني مرة والإحساس العربي تارة أخرى . ولهذا الشعور جذور عميقة في تاريخ الأمة العربية وفي النفس العربية مما يشهد بأن العربي لم يتخل يوماً عن الاعتزاز بقوميته وبمجاخته الملحة إلى كيان عربي موحد، لأن الشعور نفسه نابع من حس ذاتي داخلي، وقد تأكد هذا الحس وبدأ واضحاً عندما تعرض العرب للتحديات الخارجية التي أرادت الانتقاص منه .

وكانت بداية هذا الشعور مبهمه ، إذ لم تكن هناك مقومات حديثة تستند وتوجهه ، بل كانت أهم ركائزه المبادئ الإسلامية وما فيها من دعوة إلى وحدة عربية أساسها أن العرب حملة الدين الإسلامي، وقد شعت معهم العدالة والمساواة والشورى أينما حلوا وأينما وصلوا ، فليس غريباً عليهم أن يتحدوا اليوم .

ولما سيطرت الدولة العثمانية على البلاد العربية ظل العرب ينظرون إليها نظرهم السابقة إلى حكام المسلمين ولم يكونوا يفرقون بين العروبة والإسلام لأنهما كانا شيئاً واحداً متلازماً لا يمكن الفصل بينهما . وقد استند دعاة الإصلاح في أول أمرهم إلى الدين الإسلامي وحشوا على الاقتداء بالسلف الصالح واتباع سيرتهم . لأن التخلف العربي كان نتيجة لا ابتعاد العرب عن الدين الإسلامي وأصوله السليمة .

وقد بقي هذا الوعي العربي متصلاً بالإسلام فترة من الزمن لأن العرب هم أهل الدين الإسلامي ولأن محمداً (ص) رسول الله إلي الناس أجمعين ،

عربي الأرومة ولأن القرآن الكريم دستور المسلمين عربي اللغة وتلك مقومات وأسس ترضى الشعور الإسلامي والعربي للأمة العربية . ثم ظهر وعى انفصل باللغة العربية ذاتها ورأى ضرورة نشرها وبمعها والتحدث بها وانخادها أداة للرسالات ، وكان من جراء هذا الوعي الدعوة إلى إحياء التراث العربي والثقافة العربية والحضارة العربية في الكتب القديمة وإعادة نشر كتب التاريخ والأدب في حين لم تكن الدوافع التي تدعو العرب إلى المطالبة بالحكم العربي والانفصال عن جسم الإمبراطورية العثمانية عميقة وقوية أو آنذاك لأن العرب كانوا يخافون أشد الخوف من سيطرة أوربا (الكافرة) عليهم وهم لا يستبدلون بدولة مسلمة دولة غير مسلمة إكراماً للإسلام دينهم الذي يربطهم بالعثمانيين .

وبعد الثورة الفرنسية ووصول الحملة الفرنسية إلى مصر بدأ هذا الوعي يأخذ أسلوباً آخر في اتجاهه إذ تبلورت فكرة الحكم العربي في نفوس قسم من العرب عندما أحسوا بالأذى من دولتهم المسلمة وبتأخرها وضعفها عن حماية العرب والإسلام عند ما تحداها نابليون وزحف إلى الشرق . . . وبقى قسم منهم يتمسك بها ويدافع عنها بعد زوال الحكم الفرنسي، ثم بدأت تتضح هذه المفاهيم وتعمق في النفوس الرغبة في الوصول إلى ما يكفل الاعتراف بالقومية والفكر العربي القديم . وحاول الفكر العربي الحديث أن يواكب التيارات السياسية والفكرية الجديدة التي بدأت تصل إلى عالمه ولم تتضح مفاهيمه السياسية إلا عندما قويت التحديات الخارجية وأخذت تظهر آثارها في جميع مناحي الحياة العامة .

والتحول من الجامعة الإسلامية إلى الجامعة العربية تحولاً طبيعياً ، فبعد أن ضعفت الدولة العثمانية ، لا بد من وجود كيان لحماية الأمة العربية التي هددها الاستعمار وتحداها في أقطارها ، وبعد سقوط الدولة العثمانية قابل العرب الاستعمار الغربي وجهاً لوجه ، وقسم البلاد العربية ، فتنادى العرب بالدعوة

إلى الوحدة العربية لحماية أنفسهم أمام هذه القوة العارضة التي هددتهم في عقر دارهم .

والملاحظ ان التحديات الخارجية هي التي تبعث في الأمم وسائل الدفاع والحماية ، وتوحيدها وتكتملها للبقاء على كيانها ومقوماتها ، فقد كانت الدعوة الإسلامية واضحة وقوية عند ما تحدت الحروب الصليبية البلاد العربية . فلم يكن مناص من دعوة تحمى بها نفسها ، وقد كانت الدعوة الإسلامية هي التي ضمت البلاد العربية وقضت على الاستعمار الغربي المتمثل في الحروب الصليبية .

وهنا بدأ الوعي العربي يراجع نفسه وفكر العرب من جديد في العلاقة بين الدولة العثمانية المسلمة وبين الأمة العربية . واثارت حيرة في النفوس بين هذين الأمرين وتساءل المفكرون عما تعنيه الأمة ، أتعنى الأمة الإسلامية أم تعنى الأمة العربية ، وهل الأمة بمعنى القوم ؟ .

أديب إسحق :

فقال أديب إسحق (والأمة والجيل في كل حي من الرجل قومه وفي عرف أهل السياسة الجماعة المتجنسة جنساً واحداً) فيز أديب إسحق بين أمتين الأمة العربية وهي القوم والأمة الإسلامية وهي عدة أقوام يجمعها دين واحد وقال (إنما المراد بوحدة الجنس اتفاق الجماعة على الاعتزاز إلى جنس واحد يتوالدون فيه ويتسمون به) ولم يطلب لغة واحدة لهذه الأمة لأنه عاش في فترة الدولة العثمانية (١) .

السكواكي :

أما السكواكي فقد كان واضحاً أشد الوضوح في دعوته ، قالها صريحة

(١) الفكيه العربي الحديث لرثيف الجوري بيروت ١٩٤٣ ص ٢١٦ .

انه يريد خلافة عربية . فهل كان الكواكبي معبراً عن شعور الأمة العربية أم أنه تعرض في سورية لضغط أشد من ضغط أديب اسحق ، فان الحكم المباشر في سورية وشعور العرب فيها كان عند جماعة أكثر من جماعة أخرى والاعتماد على آراء الكواكبي وحدها غير كاف ، ولكنها تعطينا فكرة واضحة عن شعور جماعة من الأمة العربية كانت ترغب رغبة صادقة في الخلافة العربية بعد أن هزتها المشاعر القومية ، وقد ساعد الكواكبي على فهم فكرة الخلافة العربية واعتناقها إطلاعه على الآراء الأوروبية الجديدة ودراسته في السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية وعمله الصحافي .. وكلما كان الإنسان واسع الثقافة وذات تماس أكثر بالثقافات المختلفة كان أقرب إلى الصواب في الرأي والعمق في الفكرة ، ولأن عمله يطلعه على أحداث العالم وأنظمة الحكم فيه وما يدور في تلك الأنظمة فقد قارن الكواكبي بين نظام الحكم العثماني المفروض على وطنه وبين الحكم الشعبي الوطني في الأمم الأخرى فوجد الحكم العثماني غير صالح لأمنته فضاق به ذرعاً .. لأنه أراد أن يكون لأمنته من التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي ما لأوربا . ولما لم يكن الكواكبي بقادر على تغيير حالة أمتة فقد شن حرباً على الدولة العثمانية وعدد مساويها وذكر مآثر العرب ومزاياهم وسجايياهم عندما كانوا سادة العالم ودعا إلى أن يسود العرب أنفسهم وإلى تكوين خلافة عربية تستند إليها الأمة الإسلامية كما كان العرب أيام عزهم وحكمهم فقال (العرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين ، وقوة للمسلمين ، حيث كان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأتون من اتباعهم أخيراً) (١) .

وقد أحس الكواكبي أن في عنقه رسالة يجب أن يؤديها ومتى ما أحس الإنسان بأنه رائد فكرة وصاحب رسالة فلن يتأخر عن تبليغ هذه الرسالة

(١) أم القرى ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ولأحظ ما كتبه عن عرب الجزيرة وصفاتهم ٢١٩ .

كان يرى أبناء أمته في تأخر وانحطاط ويرى أمم الغرب تتقدم في الحياة لذلك صمم على بعث الهممة في النفوس وتجديد الطرق التي تسير عليها الأمة العربية . . ويدعو أن كتاب العرب في هذه الفترة بصورة عامة لم تكن عندهم فكرة واضحة عن شمول الفكرة القومية واتساع آفاقها كما نفهمها اليوم عندما تطورت الفكرة واتسعت وأخذ العرب يطالبون بوحدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، بينما كان الكتاب الأوائل مثل جورج أنطونيوس في كتابه (يقظة العرب) يريدونها محصورة بالهلال الخصيب وهي الأقطار العربية التي كانت تتبع الامبراطورية العثمانية ولم يتطرق إلى شمال أفريقيا العربية (١) ومثل هذا الأمر واضح في كتاب (يقظة الأمة العربية في آسيا العثمانية الذي ألفه نجيب عازوري ففيه خطط لدولة عربية كبرى مستقلة تمتد من العراق إلى السويس وتمنح إدارة خاصة إلى لبنان (المنطقة المسيحية) والأماكن المقدسة في فلسطين وأن يكون على رأس هذه الدولة ملك عربي مع تأسيس خلافة عربية على رأسها أمير الحجاز (٢) أي أن هدف عصبة الوطن العربي تحرير الشام والعراق من سيطرة الترك وتكوين دولة عربية من القطرين على أسس حديثة (٣) .

ورأى الكواكبي ضرورة أن يكون حاكم العرب عربياً حتى يحصل الانسجام بين الحاكم والمحكوم بل رأى وجود غير العربي في الحكم خسراً مبيئاً فقال :

(أما عدم التطابق في الأخلاق بين الراعي والرعية فله شأن عظيم)
وضرب أمثلة بالقواد الذين كانوا يقودون أبناء جنسهم فانتصروا لأن

(١) لاحظ يقظة العرب .

(٢) كان نجيب عازوري يتكلم باسم عصبة الوطن العربي وهو من مسيحي فلسطين ، وقد لخص لي فكرة المؤلف اللواء الركن عبد المطلب الأمين مشكوراً .

(٣) الشهابي ص ٥٨ و ٥٩ .

نجنو دهم من أبناء قومهم: - قال (وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تُعتبر رئيسها رأسها فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي :

ولنما الناس بالملوك ولا يفلح عرب ملوكها عجم (١)

وتوضحت نظراته القومية حينما دعا إلى ضرورة اتحاد كلمة العرب دون أن يعول على الدين وضرب مثلاً في أمريكا التي توحدت على اختلاف الأديان والقوميات فقال : (وأنتم أيها العرب من غير المسلمين أدعوكم إلى تناسي الأحقاد وأجلحكم عن ألا تهتدوا إلى وسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون ، فهذه أمم أمريكا قد هداها العلم للاتحاد الوطني دون الدين . فما بالناس لا تفكر في ألا نتبع إحدى تلك الطرائق فيقول علماءنا المشيرى للشحناء من الأعاجم والأجانب بيننا دعونا يا هؤلاء ، نحن تدبر شأننا دعونا نجتمع على كلمات سواء) (٢) .

وقد أيد الشيخ محمد رشيد رضا آراء الكواكبي ونشرها فشجع على بث الفكرة القومية وشجع على رسوخ القومية العربية في هذا القرن نمو هذه الروح في أوروبا ولا سيما في إيطاليا وألمانيا اللتين كان انتصار القومية فيهما سبباً في تفتح الذهن العربي ونمو وعيه الكامن .

وبذلك تبدل الفكر الإسلامى العربى وتطور فقد بدأ أولاً مطالباً باصلاح أحوال المجتمع الإسلامى المتأخر وإنقاذه من الفساد والخرافات التى تفشت فيه ثم أخذ يطالب بالتمتع بالحقوق السياسية للعرب والمساهمة فى الإدارة المركزية مساهمة فعلية وإنشاء إدارة لا مركزية فى الولايات

(١) أم القرى ض ١٦٨ ط ١٩٥٩ . حلب

(٢) طبائع الاستبداد الجذور التاريخية للقومية العربية للدكتور عبد العزيز الدورى ص ٩٠

و ٦٠ بيروت ١٩٦٠

العربية وجعل اللغة العربية لغة التخاطب في مجلس الأمة وأن تؤدى الخدمة العسكرية في البلاد العربية (١) .

ولكن تصرفات جمعية الاتحاد والترقي والحى الطورانية التى قوبل بها العرب من اضطهاد دعاهم إلى المناداة بفصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية وأن يكون الحجاز مقراً لخلافة عربية ويكون الشام والعراق دولة عربية تقوم على أسس حديثة لها (٢) وأخيراً الدعوة إلى وحدة عربية (٣) لأن الدولة العثمانية لم تكن تحرك ساكناً عندما استولى الأربيون على أجزاء من العربى ثم أنهم استعمروا جزءاً كبيراً منه .

ومن الطريف أن يذكر الأستاذ ساطع الحصرى بأن جمال الدين الأفغانى - وهو من قادة الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وإصلاح الدين الإسلامى بما علق به من خرافات والذى أصدر العروة الوثقى فى سبيل بث هذه الآراء وتحمل فى سبيل آرائه ما تحمل - ، أخذ يدعو إلى وحدة قومية تقوم على اللغة والجنس فقد استشهد بإحدى مقالاته التى كتبها باللغة الفارسية والتى منها قوله :

(لا سعادة إلا بالجنسية (يعنى القومية) ولا جنسية إلا باللغة . . إن الروابط التى تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان وحدة اللغة ووحدة الدين . . وحدة اللغة ، هى الأساس الذى تقوم عليه الجنسية . . اللغة أشد ثباتاً وأكثر دواماً من الدين) (٤) .

(١) راجع مؤتمر الشهداء من ١١٢ بصدد قرارات المؤتمر العربى الأول .

(٢) القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها الأمير مصطفى الشهاى القاهرة ١٩٦١ ص ٥٨ عن كتاب يقظة العرب فى آسيا العثمانية ط باريس ١٩٠٥ لنجيب عارورى .

(٣) البلاد العربية والدولة العثمانية لساطع الحصرى

(٤) ما هى القومية الأستاذ ساطع الحصرى ص ٢٠٧ بيروت ١٩٥٩

الإسلام والعرب :

ورغم وجود بعض المفكرين الداعين إلى القومية العربية فقد بقيت الدعوة القومية تسير مع الدعوة الإسلامية إذ لم يكن هناك اختلاف بين بين الدعوتين ولأن العرب دائماً يعتبرون الذى يتكلم العربية ومن يروم أن يكون عربياً فهو عربى وقد سن هذه السنة النبى الكريمة فقد ورد فى تاريخ ابن عساکر أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد ، ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هى اللسان فن تكلم العربية فهو عربى ، (١) وبذلك جعل الجاحظ الموالى عرباً على أساس تعلمهم اللغة العربية والعادات العربية .

وقد انتشر هذا المفهوم عند العرب فكانوا يجعلون للمسلمين ما لهم وما عليهم واعتبروا المسلمين عرباً وقد أكد الدكتور الدورى هذا المعنى الذى انتشر بعد الفتوح (٢) وفى الطبرى نص يؤكد هذا الأمر إذ كتب هانى " ابن هانى « إن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا من تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً ، ويريد بكلمة (العرب) المسلمين الجدد من الفرس (٣) .

وقد بقيت الثقافة العربية هى الصفة المميزة لجميع البلاد الإسلامية وما كان غير العربى يرى فى ذلك ضيراً لأن الإسلام ساوى بينهم ولأن الحضارة الإسلامية شملت البشر جميعاً على قاعدة « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » ولم يحدد غير العرب فضل العرب على العالم بل كان يعدد مزاياهم ومكارمهم وهذا دليل واضح على سمو الفكر

(١) القومية العربية - الشهابى ص ٣٤

(٢) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٤٤ و ٤٥

(٣) الطبرى حوادث سنة ١١٠ والجذور التاريخية ص ١٧

العربي والحضارة الإسلامية وسمو المدنية العربية وإنسانيتها وترك كل ما هو عربي وإسلامي ، وبذلك كان رد الفعل العربي قوياً عميقاً ولا سيما بعد أن شنت جمال باشا خيرة الشباب العربي الذين عملوا معه (١)

الطورانية :

ولما انتشرت الدعوة الطورانية في البلاد العربية كان رد الفعل لها في البلاد العربية التأكيد على ضرورة وجود كيان عربي متميز لأن جمعية الاتحاد والترقي تبنت الدعوة إلى إذابة العناصر غير التركية .

كانت جمعية تركيا الفتاة تظم جماعة من العرب الأملين بأن ينالوا بعد فوزها قسماً (من حقوقهم السياسية وأن يحتفظوا في نطاق الدولة بقوميتهم وبلغتهم وأن يعيشوا في بلادهم عيشاً كريماً . .) ولكن الجمعية بدلا من أن ترعى العرب أخذت (تدعو إلى ضم شتات التتر والمغول في امبراطورية واحدة أما الدولة العثمانية فهي في نظرهم دولة تركية ليس غير) وعلى الشعوب الأخرى أن يصبحوا أتراكاً ودعا غلاتهم إلى التنسك للإسلام ورفع أسماء الخلفاء الراشدين من المساجد وأن تستبدل بها أسماء جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك (٢) ومع أن هؤلاء كانوا قلة إلا أنهم كانوا هم المسيطرين فجروا البلاد إلى أسوأ النتائج بسبب نظرهم إلى العرب على أنهم أمة محكومة من قبلهم فقد جاء في جريدة (إقدام) ان الأتراك لهم الحق في أن يحكموا العرب تماماً كما يحكم الفرنسيون أهل الجزائر وكما يحكم الإنكليز الهند (٣) .

(١) الجمعيات السرية في الآستانه مثل جمعية الإخاء العربي والمنتدى الأدبي والجمعية القحطانية في مصر والجمعية الثورية العربية اللامركزية انتقلت إلى لبنان وسورية في بادئ العهد انشرت في جميع مراكز النشاط في بيروت النهضة اللبنانية انتقلت إلى جميع المهاجر في مصر وأوروبا وأمريكا لاحظ مؤتمر الشهداء ص ٩٤

(٢) الشهابي ص ٦٣

(٣) مؤتمر الشهداء ص ٢٩

(الاشتراكية - ٩)

فورد في كتاب السكائب التركي الشهير جلال نوري (تاريخ المستقبل)
ما نصه :

« إن المصلحة تقضى على حكومة الأستانة بإكراه السوريين على ترك
بلادهم وإن بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها إلى مستعمرات
تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين » (١) .

ومع ان سياسة الاتحاديين هذه انتقدت من عقلائهم كالدكتور رضا
توفيق الذي عد السكوت على سياساتهم خيانة لا يغتفرها الوطن إلا أنهم
استمروا في أعمالهم وملاحقتهم للعرب (٢) . هذه الملاحقة أشعلت الوعي
القومي الكامن في النفوس وأججت الشعور الوطني وبدأ الشعور العربي يبرز
جلياً وأخذت تتألف الجمعيات السرية والعلنية لمحاربة تيار التتريك ومن هذه
الجمعيات (الجمعية العلمية السورية) تأسست عام ١٨٥٧ (٣) لإحياء التراث
العربي وكان أعضاؤها فيها من مختلف بلاد العرب وكان منهم إبراهيم اليازجي
الذي دعا صراحة إلى محاربة الظلم ورفع النير عن كاهل العرب وله في ذلك
قصيدتان مشهورتان الأولى :

دع مجلس الغيد الأوانس وهوى لواحظها النواعس

وفيها يخاطب العرب ويحرضهم على الثورة والقتال :

أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس

فاستودوا لقتالهم نارا تروع كل قابس

(١) مؤتمر الشهداء ص ٤١ ولاحظ ص ٤٢ و٤٤ و٤٥ و٤٦

(٢) مؤتمر الشهداء ص ٣٠

(٣) في شأن الجمعيات راجع الشهابي .

(*) إصده المحاكم وأسماء القتلى يراجع مؤتمر الشهداء وغيرها من كتب التاريخ

أما القصيدة الثانية فهي أشهر من الأولى والتي يقول فيها :

تنهبوا واستفيقوا أيها العرب

فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

فيم التمل بالآمال، تخدعكم

وأتم بين راحت القنا سلب

كم تظلمون ولستم تشتهكون وكم

تستهضبون فلا يبدو لكم غضب

وقد ذكر الأمير الشهابي عدة جمعيات وحلقات أدبية كانت غايتها الأساسية سياسية ومظهرها أدبياً (١) ومن الواضح أن وجود الجمعيات والحلقات الأدبية معناه أن الفكر العربي كان متمثلاً في الأدب وقد كانت القيادة والفكرية والسياسية خير داع إلى القومية العربية والوعي القومي .

العراق :

أما في العراق فقد ظهرت بوادر الدعوة القومية عندما أساء الموظفون الأتراك إلى بعض الأسر ووجدنا آثارها تذهب إلى القرن الثامن عشر عندما حاول سليمان الشاوي شرح قصيدة الشنفرى لشحنهم العرب (٢) والحرص على إبقاء العنصر العربي طاهراً لا تشوبه شائبة غريبة من العناصر الأجنبية (٣) ويعاتب من يجهل للعرب مكانتهم العالية (٤) وظهرت الدعوة القومية بصور شتى منها الدعوة إلى الإصلاح والثورة على الفساد والمطالبة

(١) من هذه الحلقات حلقة الشيخ طاهر الجزائري وحلقة دمشق وجمعية النهضة العربية
(٢) سكب الأدب وهي قصيدة الشنفرى شرحها سليمان الشاوي لاحظ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر للكاتب
(٣) الجان المتضد في مدح الوزير أحمد من ١٤ و ١٥ لمحمد الغلامى وشرح رؤوف الفلاي ط. الموصل سنة ١٩٤٠ .
(٤) ديوان الطباطبائي ٢٠٦

بالحرية (١) وقد ظهرت الدعوة واضحة عندما تهرم أهل العراق يسوء معاملته
الأتراك لهم فقد قال الشاعر :

والترك إن تدنو لهم يبعدوا يصيحوا في غلمانهم قاوسنه
بن الور ابنا عرب يوزبرن الله بلا ورسن وقد صمصنه
ياليتنا متنا قبيل الأذى وقبل هذا الذل والمسكنة (٢)

وقد وجدنا هذه الروح عند أكثر من شاعر في القرن التاسع عشر مثل
عبد الغفار الأخرس وعبد الغنى الجبيلي وعبد الحميد الشاوي وعبد الباقي
العمري ومحمود شكرى الألوسى وأبى الشناء الألوسى والقزوينى . وقد كانت
هذه الدعوات تظهر تارة بالشكوى من الجور الذى حل بالعراق وتارة
بإستغلال الحاكمين الشعب وطوراً بالدعوة إلى تطبيق الشرع الإسلامى
الشريف وطوراً بالتحسر على أيام بغداد فى عزها المجيد وكيف آل الأمر
فيها إلى حكام لا يرعون ذمة فقال عبد الغنى الجبيل :

لطفى على بغداد من بلدة وقد عشمش العز بها ثم طار
كانت عروساً مثل شمس الضحى لمستعير حلها لا يمار
كانت بها للنفس ما تشتهى كجنة الخلد ، ودار القرار
كانت لأساد الوغى منزلاً والخائف الجانى بها يستجار
كانت يبطون الأذى أهلها عن كل آت حيمها مستطار
واليوم ، لا مأوى لذى فاقة فيها ولا فى أهلها مستجار
واليوم قد حل بها من ترى فانفر والا بيديك الخيار
لم يرقبوا إلا ولا ذمة فينا ، ولا عذراً لذى اعتذار
حل بها قوم وهم فى عى ما ميزوا أشرارها والخيار

(١) الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر لاحظ باب القومية .

(٢) شامة العنبر لمحمد مصطفى الغلامى ١٠٣ .

وأصبح القرد بها مقتدى يلعب بالألباب لعب القمار (١)
ثم قال صراحة :

لا يشتني غيظ أخى نخوة إلا إذا جرد بيض الشفار

وقد وجدت في شعر الشعراء ذكراً للجور وأنه طغى وعم وأن من
ساد على العرافين ليس جديراً بالحكم والسيادة ويدعو ابن الجليل في شعره
صرامة إلى ثورة عربية إذ رأى الحاكمين لا تميزهم عن العرب قوة أو ميزة
غير جبروتهم وعتوهم واعتدائهم على أبناء الوطن وإهمال شأنه فيقول :

مضى يلثم اللبائت رعى وترتوى
سيوف بأعناق اللثام صليلها
وحولى رجال من معد ويعرب
مصاليك للحرب العوان قبولها
إذا أوقدوا للحرب ناراً تأججت
بجامرها والبيض تدمى نصولها
وبالسمر تحمى البيض شبان حبيهم
وبالبيض تحمى السمر قسراً كهولها
يهشون للعافى إذا ضاق رحبهم
وجوه كأسياف يضىء صقيلها

وتؤوب الحسرة في نفسه لوعة جارحة لأن العرب لم يستجيبوا لندائته :
إلى الله أشكو عصبة قد تواطأت على دخن بغياً فضلت عقولها (٢)

(١) غرائب الاغتراب ص ٢١١ لأبى الشناء شهاب الدين الآلوسى طبع بغداد ١٣٢٨ .

(٢) غرائب الاغتراب ص ٢١٨ - ٢٢٤ وديوان الأخرس ص ٤٧١ .

والقزويني يقول :

وكم لملوك الترك هتك حرمة
وما خلت حتى سرت في الفلك أنى
لأهل النهى والهتك من شيم الترك
أرى الفلك إلا على يسير في الفلك (١)

وأما في أحمد الشاذلي الانتقام ممن لم رعوا الإسلام ذمة :

ألا ليت شعري والأماي ضلة
وأبرد من صهب العثانين غلتي
وعمر الفتى إن عاش ما عاش للملك
وأشفي واشتشفى غليلي من الترك (٢)

وقال محمد الهاشمي :

تركوك يا لغة النبي وآثروا
في المسلمين سياسة التتريك

التيار القومي والإسلامي والشعر :

وبقيت الفكرتان القومية والإسلامية تسيران متقاربتين تارة ومتباعدتين
تارة أخرى لأن الوحدة العربية ضرورة من ضرورات الوحدة الإسلامية
ودعامة من دعائمها القوية وليس من السهل على أديب تنقف بثقافة عربية
إسلامية أن يفرق بين الوجدتين فالعربي من كانت لغته العربية سواء أكان
عربياً أم غير عربي فقد كان الرصافي داعياً من دعاة الوحدة العربية
والإسلامية ولكنه دعا إلى وحدة عربية بلا تمييز بين الطوائف فقال :

عدوا النصاري وعدو المسلمين بها
أو في مصالح دنياهم وهم عرب
ونحن نعمدهم طراً أعاربنا
جاءوا على حسب الأديان ترتيباً

(١) ديوان القزويني ص ٢٢٠ و ٢٢١

(٢) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ط ١ ص ١٨٦

ما ضرهم لو نحا في الأمر جامعة تنفي الكائنات عنها والمحاريبا (١)
وقد كانت الأخلاق العربية مثلاً عالياً يحتذى في السمو والحمد بالخلال
العربية .

أما وخلال فيكم عربية وذا قسم لو تعلمون مؤكداً (٢)
والمكارم العربية تتمثل في النبل والوفاء ومن يتحلى عن الخلال العربية
السامية لا يعدد الشاعر من العرب ويبرىء العرب من أية جماعة لا تتحلى
بمثل هذه المكارم .

برئت للعرب العرباء من فئة ينمون للعرب إلا أنهم سقط
أين المكارم إنهم أصبحوا عرباً فإنها من طباع العرب تشتط (٣)
وجود الدين سواء الإسلامى أو المسيحى لا يمنع من هذه الوحدة
فقال :

إذا جمعنا وحدة وطنية	فماذا علينا أن تعدد أديان
إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة	لسان وأوطان وبالله إيمان
فأى اعتقاد مانع من أخوة	بما قال إنجيل كما قال قرآن
نمستكم إلى المجد الموثل تغلب	كما قد نمتكم للمكارم غسان
أجب أيها الذئب المسيحى مسلماً	صفا لك منه اليوم سر وإعلان
فلا تحرما الأوطان أن تتحالفا	يداً بيد حتى تؤكد إيمان
ألا فانهضوا نحو العدا وكلا كما	لصاحبه في المأزق الضئك معوان

(١) ديوان الرصافي الطبعة السادسة القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٠٤ و ٤٠٣

(٢) الديوان ص ٨٥

(٣) الديوان ص ٤٠٨

وقولا لمن قد لامنا ويك لنا على كل حال في المواطن إخوان (١)
وقال :

تسكمت سور القرآن مفصحة
فأسكتت صخب الأرماع والقضب
وقام خير قریش وابن سادتها
يدعو إلى الله في عزم وفي دأب
بمنطق هاشمي الوشي لو نسجت
منه الأصائل لم تنصل ولم تغب (٢)

وفي شعر الرصافي الكثير من هذه الآراء ومن يراجع الديوان يجد
ذلك واضحا وقد كان يرى الوحدة سبباً في قوة العرب وبغيرها لن يكون
تقدم ولا حضارة كقوله :

قد أنهضتهم إلى العلياء وحدتهم
واليوم أقعدهم عنها إذا انقسموا (٣)
وللجاءم شعر كثير أشاد فيه بالرابطة الإسلامية والعربية فقال :
لي بينكم صلة عزت أو اصرها لأنها صلة القرآن والنسب (٤)
ويناجي بغداد والعراق بقوله :

(١) الديوان ص ١٣١
(٢) المصدر نفسه ص ٦٣
(٣) يلاحظ في الديوان إلى الشبان ص ٦٥ ويقظة الشرق ٢٦٥ وإلى الامه العربية ٣٩٤
وصبح الأماني ٤١٥ وبعد الزوج ٤٢٦ ونحن والحالة العالميه ٤٧٤ وبرؤيا صادقه ٤٩٢
وقصر الحمراء ٥٠٠ و .
(٤) ديوان الجاءم طبعة دار المعارف القاهرة ص ٦٠ ج ٣

حبیب إلى نفسی العراق وأهله
وسائفه الزاهی المجید وحاضره
دیار بها الإسلام أرسل ضوءه
فسار مسیر الشمس فی الأفق سائره
ومدت به الآداب ظلاً علی الوری
تسارت به آصاله وهو اجره (١)

بل یجعل الإسلام فوق کل اعتبار عندما یقول :
فلیس لدى الإسلام شرق ومشرق
ولیس لدى الإسلام غرب ومغرب
هم الناس إخوان سواء علی الهدی
بطیء المساعی والشریف المہیب
فما حط من قدر (الفزاری) فاقه
ولا زاد فی قدر ابن (أیهم) منصب
یجمعهم قلب ، علی الحق ، واحد
وإن فرقت أوطانهم وتشعبوا
إذا صاح فی (جیحون) يوماً مؤذن
أجاب علی (التامیز) داع مشوب
وإن ذرفت من جفن (دجلة) دمعته
رأیت دموع (النیل) حیرى تصیب

(١) ألقى القصيدة فی رثاء الزهاوی فی ١٢ شباط سنة ١٩٣٧ لاحظ دیوان الجارم

وإن مس جرح من (فلسطين) أصبغاً
شكا (حاجر) منه وأن (المحصب) (١)

وأكثر شعراء مصر حافظوا على الوحدة الإسلامية والقومية في شعرهم
ومن هؤلاء أحمد محرم ومحمد عبد المطلب وشوقي وحافظ وخليل مطران (٢)
مع أنهم كانوا أميل إلى الإسلام بل كانوا أولاً ضد الحركة القومية العربية
لأنها كانت خروجاً على الخلافة الإسلامية .

المسيحيون والإسلام :

وقد ساهم إخواننا المسيحيون مساهمة واضحة في القومية العربية فقد
جعلوا النبي محمداً زعيماً عربياً وحد شملهم فقد قال جورج سلمسى لما رأى
ما حاق بالعرب من ذل وفترة .

ياسيدى يا رسول الله روّعنا صرف الزمان بشر منه مسعود
وامتد بالعرب ليل اللذائبات أما للفجر بعد الدياحى من تباشير ؟
فاشفع فإنك أذن المرسلين إلى الب ارى فنسلم من ذل وتعيير (٣)

والطريف أن يقول وصفى قرنفل من قصيدة :

قد ية ولون شاعر نصرانى يرسل الحب فى كذاب البيان
كذبوا والرسول لم يجر يوماً بخلاف الذى أكن لسانى
أو عار على فتى يعربى يتغنى بالسيد العبدانى
أفكنا لولا الرسول سوى العبد دان بتست معيشة العبدان

(١) ديوان الجارم ج ٤ ص ٣

(٢) لاحظ (التراث الروحى والشعر الحديث) والقومية العربية فى الشعر للدكتور الحوفى

(٣) القومية العربية فى الشعر الحديث للدكتور أحمد الحوفى ط القاهرة سنة ٦٦ ض ٣٤٣

أوليس الوفاء أن تخلص المنقذ حباً إن كنت ذا وجدان (١)؟

ورأى المسيحيون أن مجرد الإسلام هو مجدهم فتجد مطران ورشيد سليم الخورى وإلياس فرحات وعادل الغضبان (٢) كلهم لسان شعر جميل فقد قال رشيد سليم الخورى :

أتحف أوراق العروبة في ربا لبنان وهي نضيرة في (يذبل)
أتريد أعظم من أبي بكر ومن عمر إذا انتسب الكرام ومن على (٣)
وقال :

هبوني ديناً يجعل العرب أمة وسيروا بجثمانى على دين برهم
الأجنبي والقومية :

والواقع أن الاستعمار يقف أمام اتحاد الأمم دائماً وخاصة القوية الجانب وهو الذى يفرق الصفوف ويثب الأحن والعداوات بين أبناء الأمة الواحدة وفى الجفاء الذى نشب بين الأقباط والمسلمين فى مصر سنة ١٩٠٨ وقبلها ما حصل فى سورية (لبنان) ١٨٦٠ وفى الخصومات التى حدثت بين أبناء العرب وبين المسلمين أنفسهم خير دليل على هذا القول وقد كان الشعراء والأدباء خاصة يقفون أمام هذه الحركات محاولين جهدهم أن يحل التصافى بين أبناء الوطن الواحد وما تزال هذه الحزازات تجد طريقها إلى النفوس فقد قال عوض واصف :

أبناءؤها عبد المسيح وأحمد والموسوى وليس ثم دخيل
لا فرق بين العالمين وأرضهم وطن وحيد والجميع سليل

(٢) راجع مهرجان الشعر الخامس ص ٧٣

(١) المصدر السابق .

(٣) الحواري القومية العربية ص ٣٤٩ وأدبنا وأدباؤنا في المهاجر ص ٣٧٩

هل في السماء مذاهب وعناصر ؟ هل ثم إلا صاحب و خليل ؟ (١)

وقال بولس سلامة :

وبطل مثذنة وباحة مسجد فالعلم في لبنان شد ولاء
نهج البلاغة نهجنا وعليه ملك البيان وسدرة الأدياء (٢)

وقال الأديب مارون عبود وقد سمي ابنه محمداً اعتزازاً باسم النبي محمد (ص)

عشت يا بني عشت يا خير صبي ولدته أمه في رجب
أمه ما ولدته مسلماً أو مسيحياً ولكن عربي

الزهاوي :

وقد جعل الزهاوي للفكر أهمية كبيرة في تقريب العرب لأن الفكر
أقرب قرابة وأشد رابطة من الوحدة العربية السياسية فقد قال في قصيدة
(العراق في مصر) التي نظمها متأخراً :

لقد جمعتنا وحدة عربية وأقرب منها بيننا وحدة الفكر
أرى في لقاء الروح للروح فرحة تفوق لقاء العين والأوجه الغر

وقد حذر الزهاوي العرب من الاستعمار الذي يقف للوحدة العربية
بالمرصاد كما حذرهم من غير المخلصين الذين يتخذون من الدعوة إلى الوحدة
العربية سبيلاً لأغراضهم ومآربهم ولم يجد الوحدة العربية صعوبة المنال إذا
صمدت النيات وفكر في صيانتها المفكرون فقال في قصيدة يرحب فيها
بالمازني وأسعد داغر :

(١) التراث الروحي والشعر الحديث ص ١٤ القاهرة ١٩٦٦

(٢) القومية العربية والشعر الحديث ص ٣١

(٣) الثمالة ص ٦٤

ما كان من هتفولتو حيد العروبة لاعيننا
 هي وحدة ميسورة لولا يد للعابئينا
 إن العروبة ليس تأ من غارة المستعمرينا
 إلا بوحدتها ونعـ م وسيلة المتفكرينا
 وهي التي اتحدت قد يماً بينهما لغة وديننا (١)

وبذلك تأثر الزهاوى فى القصيدتين بالتيار القومى العربى وأخذ يدعو إليه .

الكاظمى :

وقد كان الكاظمى يمثل الدعوة العربية تمثيلاً واضحاً فهو عراقى سكن القاهرة وكان أمراء العرب يؤازرونه فى دعوته حتى إنه اعتبر مثلاً للدعوة العربية التى جند لها نفسه وأخلص لها كل الإخلاص فعالج مشكلات العرب معالجة عاطفية إلى جانب معالجته المنطقية ، مغتنماً كل فرصة ممكنة للدعوة لها فقد قال فى قصيده نظمها بعد عودة سعد زغلول من المنفى يصف حالة العرب وما يصبه عليهم المستعمرون فى مصر ودمشق وبغداد والقدس من ويلات ويؤكد أن هذا الأمر نتيجة لتفريق العرب ولو أنهم اتحدوا لما تجرأ المستعمر على هذا فقال :

وما بك يا مصر ببغداد نازل وفى جلق أدهى وفى القدس أجسم
 هنالك أحشاء تذوب وهمنا قلوب متى حركتها تتضرم
 إذا ما توالى جرحنا وتعددت مراهمه فالجرح للجرح مرهم
 ستجمعنا الأيام والخير ضاحك يعم الورى والشر يبكى ويلطم (٢)

(١) الجملة ص ٦٨

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٦٠ .

ولعل السكاظمي من أول الداعين وأكثر الناضمين في الوحدة العربية بعد الرواد الأوائل فشعره في الوحدة العربية كثير وهو على كثرتة وانتشاره اتخذ لساناً للثورة العربية في الحجاز وكانت له صلاته الخاصة بالأسرة الهاشمية التي كانت حريصة أشد الحرص على الوحدة العربية . وقد كان السكاظمي (١) يحس إحساس القائد المفكر الذي يريد أن ينهض قومه العرب فقال :

ردد الشجوة فالمصائب أذكت جانحات وقرحت آماقا
تلك سورية التي سيروها أغلقوا النهج دونها إغلاقا
حملوها مالا تطيق وقالوا إن حمل الإذلال كان مطاقا (٢)

وتراه وكله عواطف صادقة وأحاسيس كريمة لكل شبر من بلاده لا فرق بينها في الأسماء فهي أمة واحدة ووطن واحد وقال :

أحن إذا قيل العراق وأنحن وأشوق إن قيل الشام وأزفر
واطرق إن قيل الحجاز على جوى أعجب ما قيل مصر وأبهر
جميع بلاد العرب في القدر واحد إذا وازنوا البلدان يوماً وقدروا (٣)

وسمى أحمد محرم العرب في شعره دأمة العروبة ، لتفرقهم ، وقال إنه يجب أن تتوحد هذه دالأمم ، لتحمي حوزتها وتزود عن حماها وذلك في قوله :

أمة العروبة لا نجاة لمدير يعني النجاة ولا حياة لمحجم
كوني جميعاً فالتفرق لم يزل منذ كان من نذر القضاء المبرم

(١) وقام السيد عبد الرحيم محمد علي بجمع ما كتب عن السكاظمي بأربعة كتب هي : السكاظمي شاعر العرب وذكري شاعر العرب والسكاظمي شاعر الكفاح العربي الخالد والسكاظمي في كراه الثلاثين .

(٢) ديوان السكاظمي ج ٢ ص ١٥٣

(٣) ديوان السكاظمي ج ١ ص ٢٥١

نُضِمى القوي وتجمي في وحدة عربية تحمي اللواء وتحتمي (١)

ولا نكاد نجد شاعراً عربياً أو مسلماً لم يدع إلى وحدة العرب في مختلف أقطارهم في الشام وفلسطين ومصر والعراق ولكننا نرى الدعوة في العراق أكثر ظهوراً وأشد حماسة ، وأوضح قصداً وأعق عاطفة من الأقطار العربية . ذلك لأن عرب العراق كانوا أكثر احتكاكاً بالتيارات الطورانية وغيرها . . . التي تريد أن تحول العراق عن ركبه العربي ومحو الشخصية العربية وقتل كل شعور العربي قومي في الماضى البعيد والقريب يضاف إلى ذلك أن هناك ثقافات قديمة لها رواستها المنحجرة العريقة .

والعراق موطن هجرة العرب طوال العصور ، والجزيرة هي التي تغذيه ، فيأتى العربي وقد امتلأ رغبة في الاستقلال والحرية ، فيجد أمامه أجنبياً يريد إذلاله ، وحضارات تريد أن تقيده وتفقده ذاته وليس من السهولة على العربي أن يفقد ذاته واستقلاله فيكون الثبات ويكون الصراع مريراً فيعمق الشعور القومي ويزداد العربي تمسكاً بتقاليده وإيماناً بذاتيته العربية لأن قوته الفردية ومقوماته الحضارية وتراثه الثقافي تبقى عربية رغم احساسه الاسلحي . فوقف أمام كل تحديات الاجنبى وقد علمها الدكتور الدورى فقال :

« كان العراق منذ القدم الحد الشرقى للثقافة السامية تجاه ثقافة أخرى قوية هي الآرية ثم صار الحد الشرقى للثقافة العربية حفيده الثقافة السامية ووريثتها تجاه الأعجمية فهو لذلك ساحة صراع سياسى ثقافى اجتماعى بين السامية وبين الآرية فى القديم وبين العروبة والأعجمية بعد ظهور العرب على المسرح ، (٢) »

(١) الحوى : القومية العربية ص ١٢٤

(٢) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٣٧ .

والعراقيون يؤلمهم ما يحيق بأخوانهم العرب في كل مكان سواء أكانوا
بدمشق أم القاهرة أم غيرهما وقد قال الشببي :

ماذا بنا وبذي الديار يراد ؟ فقدت دمشق وقبلها بغداد
بردى وأردية القرات ودجلة والنيل غص بمائك الورد

ويرى الشببي ان الأجانب هم سبب نكبة العرب وهم أساس بليته فقال :
حال العلوج من الأحامر بيننا وتعدو الإصدار والإيراد
لاساغ - يابردى - الشراب ولا هنا عذب من الماء القراح يراد

ويقف بحسرة وألم عندما يرى رجال العرب تنحرف في سبيل أحقادها
الشخصية وفي سبيل المصالح الفردية تدفعهم الأضغان والأحقاد فقال :

ما بين مصر والحجاز تطاحن ومن العراق إلى الخليج جلاذ
يتزودون من التجلد كلها قل المتاع ، وخفت الأزواد
ويقول :

يا للرزقة كم تفرق بيننا وتضلنا الأضغان والأحقاد (١)

رجال الدين :

وقد عارض قسم من رجال الدين (الفكرية القومية) عند ظهورها
لاعتقادهم بمخالفتها للدين الاسلامي ولأنها تفصل العرب عن المسلمين ورأوا
أن طاعة أوامر الخليفة واجب على المسلمين وقد أيدتهم الدولة العثمانية
تأييداً مطلقاً ولما طالب العرب بحقوقهم باعتبار اللغة العربية لغة رسمية في
بلادهم حركت الحكومة أنصارها من رجال الدين فشنوا حملة شعواء ركبوا

العرائض وجاءت وفود تؤكد الولاء للسدة العثمانية والخلافة الإسلامية ،
واتخذوا من أحاديث الرسول التي تمنع العصبية للرد على دعاة العروبة ولم
يسكت دعاة القومية على هؤلاء وردوا بأن العصبية هي العصبية الجاهلية (١)

وما كان يجرؤ بادي الأمر القادة بالدعوة إلى القومية والدعوة إلى حكم
عربي إذ كان الشعور العام ضد الدعوة إليها وعندما ثار عرابي على الانسكيز
نفى أنه يريد تأسيس دولة عربية وعدها الأمر خروجاً على طاعة الله ورسوله .

والفكر العربي ما زال مضطرباً في كثير من الأقطار العربية وما زالت
القومية العربية تعيش في قلق في أذهان العرب لأن الفكر العربي بحاجة
شديدة إلى وضع أسس علمية عامة تبعد عن أذهان قادة الرأي والسياسة
القيم والأحلام البعيدة عن واقع الحياة العربية .

ولا يمكن للفكر العربي القومي أن تعمق جذوره إلا بدراسة جديدة له
وشرح قواعده وجذوره ومفاهيمه وإلا أصيب بخيبة أمل أخرى خاصة
لأولئك الذين يرون في الدعوة القومية خطراً على تيار الفكر الإسلامي (٢)

(١) ما هي القومية لساطع الحصري .

(٢) وقد كان الفرنسيون يروجون بأن القومية العربية فكرة إسلامية القصد منها أن يتسلط
المسلمون على المسيحيين لاحظ الوحدة العربية ص ٣٤١ محمد عزة دروزة .

نصوص للدراسة

إلى العمال

كل ما في البلاد من أموال
إن يطب في حياتنا الاجتماعية
وإذا كان في البلاد ثراء
نحن خلق المقدرات وفيها
عندنا اليوم في الحياة نظام
حيث يسعى الفقير سعى أجبر
فترى المسكين في طيب عيش
وترى الغانصين في البحر أمسى
وترى المعسرين في كل أرض
أكثر الناس يكدحون لقوم
واحد في الشعيم يلهو وألف
حالة في معاشنا أسالكتنا
فترانا بعضاً لبعض لبسنا
تلك عاد مستهجنات ورثنا
فإلى كم نشقى وحتى م نبقى
إنما الحق مذهب الاشتراكية
مذهب قد نمنا إليه أبو ذر
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاعد ضاميات

ليس إلا نتيجة الأعمال
عيش فالفضل للعمال
ففضل الإنتاج والابدال
لا حياة للعاطل المكسال
قد حوى كل باطل ومحال
لغنى مستأثر بالغلل
أرغذته لهم يد الإقلال
لسواهم ما أخرجوا من لآلى
كعبيد الموسرين موالى
قعدوا في قصورهم والعلالى
في شقاء وأبؤس واعتلال
طرقات الختال المختال
من خياناتنا مسوح الشعالى
ها قديما من العصور الخوالى
هكذا في عماية وضلال
فيما يختص في الأموال
قديما في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالى
ما لأهل الحياة من آمالي

موصلات إلى السعادة في العيد
ليس للبرء أن يعيش بلا كـ
كل مجد يبني على غير معنى
ليس قدر الفتى من العيش إلا
مارؤوس الأموال إلا أداة
مثل شد الاحمال شد المساعي
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا
أفتأتى من الطعام بديلا
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومة في وغاها
إنها مثل حومه الحرب مادا
وسوى الخندق ما بها من سلاح
بطل الحرب مثله بطل السعى
ونشاط منه يبيض المساعي
أيها العاملون إن اتحاداً
ما للعيش تشقون فيه سقاما
فليكن بعضكم لبعض نصيراً
وإذا قلت أنكم أنتم النبا
فاعملوا دائبين غير كسالى
ثم قولوا معي مقالا رفيع الص

ش هواد إلى طريق التعالى
د وإن كان من عظام الرجال
فهم وجد مهمدد بالزوال
قدر لإنتاج سعيه المتوالى
المساعي كالجبل للأحمال
ودنانيرها لها كالجبال
همم الدائبين في الأشغال
أفتغنى عن كسوة ونعال
وسوى ذاك بسطة في الكمال
لاتحق الحياة للبطال
رت رحاها إلا على الأبطال
وسوى الكد ما بها من قتال
ومنه الأعمال مثل الصيال
مثل إشراعه لسل العوال
يبنسكم مَرخص لكم كل غالى
يسوى الاتحاد من إبلال
ومعينا له على كل حال
س جميعاً فلا أكون مغالى
وارقبو ما به ستأتى الليالى
وت تحيا زمرة العمال

آل السلطنة

هم يعدون بالمشات ذكوراً وإنانا لهم قصور مشاله
 ولهم أعبد بها وإماء ونعيم ورفعة وجلاله
 تركوا السعى والتكسب في الد نيا وعاشوا على الرعية عاله
 يتجلى النعيم فيهم فتبكي أعين السعى من نعيم البطاله
 يا كلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
 فكأن الأنام يشقون كدا كي تنال النعيم تلك السلاله
 وكان الإله قد خلق النا س لحيا آل السلاطين آله
 نعموا في غضارة الملك عيشا وحملنا من دونهم أثقاله
 فإذا صاول العدو خرجنا دونهم للوغى نرد صياله
 وإذا هم جروا الجرائر يوما فعلينا تكون فيها الجماله
 قد رضينا بذلك لولا عتو أظهره لنا على كل حاله
 ما بهم ما يميزهم عن بني السو قة إلا رسوخهم في الجماله
 هم من الناس حيث لو غربل الذ اس لكانوا نفاية وحثاله
 ومن الناس حيث لو صور الج هل لكانوا بين الورى تمثاله
 حملونا من عيشهم كل عب ثم زادو أصهارهم والكلاله
 فكفينا أصهارهم مؤنة العيش فكانو ضغثاً على إباله
 تلك والله حالة يقشعر الح ق منها وتشمئز العداله
 هي منهم دناءة وشنار وهي منا حماقة وضلاله
 ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله وهو في الملة الحنيفية البيضاء كفر بربنا ذي الجلاله

جزء من قصيدة

يوم سنخافورة

هناك حفرة الأطباع يمسى	خداع الإنكليز بها دفيننا
وتتخدم الحفائظ في البرايا	فتضرم فوق مدفنه أنونا
وتتسع السياسة للتصافى	فيستصفي الخدين بها الخديننا
ويصبح كل تمويه وغش	لأنظار البرية مستبيناً
ويصبح كل خداع كذوب	رجيا في سياسته لعينا
ويصبح كل شعب مستقلا	عزيزا لن يذل ولن يهونا
ويمسى الناس قاطبة سواء	بدين إخوة متدينينا
يعاون بعضهم بعضاً ويؤوى	قويهم الضعيف المستكيننا
تسير بهم شرائع عادلات	إلى أوج السعادة مرتقيننا
سواء لا يفرقهم لسان	ولا دين به يتعبدونا
فما من سائد أو من مسود	ولا من دائن يربى الديونا
ويصبح كل محترث مشاعا	لمن فيه ثروا متوطنينا
وما أهل البلاد سوى عيال	على العمل الذى هم يحسنونا

جزء من قصيدة معترك الحياة

أرى كل ذى فقر لذي كل ذى غنى	أجيراً له مستخدماً في عقاره
ولم يعطه إلا اليسير وإنما	على كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العزّ ضافياً	وينظره شرراً بعين احتقاره
يشد الغنى أزر الغنى في حياته	وما الفقر إلا مكسر في فقاره
وليس الغنى إلا غنى العلم إنه	لنور الغنى يحلو ظلام افتقاره
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً	إذا نكبت أخلاقهم عن مناره
وما العلم إلا النور يحلو دُجى العمى	ولكن تزيغ العين عند انكساره
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفجعاً	وإن كان بحراً زاحراً من بحاره

* * *

سل الفلك الدوار عن حركاته	فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو في هذا الفضاء مسافر	له غاية مقصودة من سفاره
وهبنا جهلنا بدأه من تقاوم	فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينبجلى ليل الشكوك عن النهى	وترفع كف العلم مُرض ستاره
ألا ورى في زند الزمان فتهتدى	بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر	وإن كان في رأد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا غابطين ظلامه	وإن ركبوا في السير متن بخاره

* * *

لعمرك إن الدهر يجرى لغاية	فإن شئت أن تحيا سعيداً بخاره
وها هو ذا يعدو فيبتدر الهدى	وينهب أعمار الوري في ابتداره

لقد فاز من بارى جديديه جده وخاب الذى فى جده لم يباريه
وايست حياة الناس إلا تجددأ مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يحويه جريه ويرديه مكث دائم فى قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تر أن الغرب أصلت سيفه عليهم وهم لاهون تحت غراره
وبادهم كالسيل عند انحداره وهم فى مهاوى غفلة عن بداره
أما آن للساهين أن يأبهوا له وقد أصبحوا فى قبضة من إساره
تراهم جميعاً بين حيران واجم وآخر يطرى ماضياً فى فخاره

حافظ إبراهيم :

امان الشعاع

أمانيك الكبرى وهمك أن ترى
وأن تبني المجد الذى مال ركنه
دعوت لمصر أن تسود وكم دعت
فليت ملوك المسلمين تشبهوا
سليسل ملوك يشهد الله أنهم
اثن بات بالمجد المؤئل مغرما
وإن تام حب المكرمات فؤاده
وإن سكنت تقوى المهيمن قلبه
وإن بات نهاضا بمصر إلى الذرا
حوى ما حوى من مجدهم ونجارهم
دعوا بك واستسقوا فلبى دعاهم
ألح على أوعارهم وسهم وطم
ولما طوى بطحاء مكة هزه
أطاف به ثم اثنى عن فنائه
طلعت عليهم أسعد الخلق مطلقا
رجعت وقد داويت بالجود فقرهم
وأمنت للبيت الحرام طريقه
ويسرته حتى استطاع ركوبه
وجدت في جادات ربة الظهر والتقى
بأرجاء وادى النيل شعبا منها
وأن ترهف السيف الذى قد تشلها
لك الله مصر أن تعيش وتسلما
بملك إذا ما أحجم الدهر أقدمها
أقاموا عمود الدين لما تهدما
بقدر كان (إبراهيم) بالمجد مغرما
بقدر كان (إسماعيل) فيها متيا
فقد كان منها قلب (توفيق) مفعما
فن جده الأعلى (على) تعلما
وزاد فأعيا المادحين وأخفا
من الأفق هتان من المزن قد همى
وحيا عبوس القفسر حتى تبسما
إلى البيت سوق المستهام فيهما
ولوعب منه (السامرى) لأسلما
وعدت إلينا أئمن الخلق مقدما
وكننت لهم فى موسم الحج مرسما
وكان طريق البيت من قبلها دما
أخو الفقر لا يطويه جوع ولا ظما
على العام حتى أخصب العام منكما

فلم تبقيا فوق الجزيرة بائساً
فارضيتما الديان والدين كله
ولم تتركا في ساحة البيت معدماً
لقد رضى الديان والدين عنكما

من قصيدة عمر بن الخطاب ؛

فما القوى قوياً رغم عزته
وما الضيف ضعيفاً بعد حجته
وما وفي ابنك (عبد الله) أيتفه
رأيتها في حماء وهي سارحة
فقلت : ما كان (عبد الله) يشبعها
قد استعان بجاهي في تجارته
ردوا النياق لبيت المال إن له
وهذه خطة لله واضعها
ما الاشتراكية المنشود جانبها
فإن نكن نحن أهلها ومنبتها
إن جاع في شدة قوم شركتهم
جوع الخليفة - والدنيا بقبضته -
فمن يبارى (أبا حفص) وسيرته
يوم اشتت زوجه الحلوى فقال لها
لا تمتطى شموات النفس جاححة
وهل يفى بيت مال المسلمين بما
قالت : لك الله إنى لست أرزؤه
إسكن أجنب شيئاً من وظيفتنا
حتى إذا ما مملكتنا ما يكافئها
قال : اذهبي واعلمي إن كنت جاهلة
عند الخصومة و(الفاروق) قاضيا
وإن تخاصم واليها وراعيها
لما طلعت عليهما في مراعيها
مثل القصور قد اهتزت أعاليها
لو لم يكن ولدى أو كان يروها
وبات اسم (أبي حفص) ينمينا
حق الزيادة فيها قبل شاريها
ردت حقوقاً أغنت مستمحيها
بين الورى غير مبنى من مبانيها
فإنهم عرفوها قبل أهلها
في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
في الزهد منزلة سبيحان مولها
أو من يحاول (للفاروق) تشبيها
من أين لي ثمن الحلوى فأشريا
فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
توحى إليك إذا طأعت موحيها
مالا لحاجة نفس كنت أبغيها
في كل يوم على حال أسويها
شريتها ثم إنى لا أنهبها
أن القناعة تغني نفس كاسيها

وأقبلت بعد خمس وهي حاملة
فقال : نهبت منى غافلاً فدعى
ويلى على عمرى يرضى بموفية
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به
كذلك أخلاقه كانت وماعدت
دريهمات لتقضى من تشميتها
هذى الدراهم إذ لا حق لى فيها
على الكفاف وينهى مستزديدها
أولى فقوى لبيت المال رديها
بعد النبوة أخلاق تحاكمها

وقال من قصيدة حريق ميت غمر (أيا الأغنياء) :

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف باتت نساؤهم والعدارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الأم
وكيف اصطلى مع القوم ناراً
كيف طاح العجوز تحت جدار
يتداعى وأسقف تتجارى ؟
رب إن القضاء أنحس عليهم

فاكشف الكرب واحجب الأقدار

ومر النار أن تكف إذاها
أين طوفان صاحب الفلك؟ يروى
أشعلت فحة الدياجى فباتت
غشيتهم والنحس يجرى يمينا
فاغارت وأوجه القوم بيض
أكلت دورهم فلما استقلت
أخرجتهم من الديار عراة
يلبسون الظلام حتى إذا ما
حلة لا تقيهم البرد والحر
أيها الرافلون فى حلال الوشى
إن فوق العراء قوما جياعا
أيها السجين لا يمنع السجن
مر بألف لهم وإن شئت زدها
قد شهدنا بالأمس فى مصر عرساً
ومر الغيث أن يسيل انهارا
هذه النار فهمى تشكو الأوارا
تملأ الأرض والسماء شرارا
ورمتهم والبؤس يجرى يساراً
ثم غارت وقد كستهم قارا
لم تغادر صغارهم والكبارا
حذر الموت يطلبون الفرارا
أقبل الصبح يلبسون النهارا
ولا عنهم ترد الغبارا
يجرون للذيول افتخارا
يتوارون ذلة وانكسارا
كريمأ من أن يقيل العنارا
وأجرهم كما أجرت النصارى
ملأ العين والفؤاد ابتهارا

سأل فيه النضار حتى حسبنا	أن ذاك الفناء يجرى نضاراً
بات فيه المنعمون بليلاً	أخبجل الصبح حسنه فتواري
يكتسون السرور طوراً وطوراً	في يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا في (ميت غمر) صياحا	ملاً البر ضجة والبحارا
جل من قسم الحظوظ فهذا	يتغنى وذاك يبكي الديارا
رب ليل في الدهر قد ضم نحساً	وسعوداً وعسرة ويسارا

قصيدة غناء الراعى

أسمع النى إنى يتشكى
ودع الروض والبابل تشدو
زاحمت صدره المشرح أسبا
هل نفخنا من روحنا فيه شجوا
شاعر خاشع يحس بما فى الله
رجف الصوت بالحنين وأصغى
نغمات ربا من الدمع دقت
وبترديدها تردد روحى
إن للحادثات وقعا على الأرض
واختلاف القرعين صير هذا
نشر السرح عندما استسلم اليه
عرشوها على الخائل باهت
ناوحتها الرياح وانعطف النهر
نشر البدر فوقها شبك النور
شاخات القصور فأتك منها
سكت النهر موحشا لا خير له
فى غبار الضياع كفتت آمالى
وعلى الشاطئين من روعة الدهر
أسفا بعد ضجة الطير فيه

برنين من وحشة الانقطاع
فغننا ذكرى ليوم الوداع
ب لونات صوته ودواع
فيه ما بها من الأوجاع
فس من وحشة ومن التبايع
لرفيف الأرواح فى الامماع
جرس القلب فى رنين انهداع
بين خفض مشج وبين ارتفاع
لاع واللحن رنة الاضلاع
شدو شاد يشجى وذائعى ناع
ل ورن الصدى وغنى الراعى
كوة القصر زاهيات الرباع
عليها وأبهجتها المراعى
فكانت كقبة من شعاع
عينة اللطف حشمة فى انضاع
ماء فيه ولا رفيف الشراع
فأدرجن فى غباء الضياع
ر جلال فى قدرة وارنياع
أصبح القطر ضجة للرعاع

ما حياة الفلاح في كنف الغرا ف إلا موت طويل النزاع

يا صراع العزيز قد سرقت مصر	ولم تفتقد كخقد الصواع
ارتقت عندنا الصناعة حتى	كل قول وكل فعل صناعي
ونبعنا في الإختراع جميعاً	فتأمل في وضعنا الإختراعي
يصدع الرأس في المهام ولاخير	برأس ما فيه غير الصداع
في مطاوى الإجماع قد يكثر البله	فكيف الوثوق بالاجماع
ولد الناس مطلقين ولكن	قيدتهم سلاسل الاجتماع
وبنود القباط رمز على التقييد	في العيش منذ دور الرضاع

منجى الفلاح

نظمت عام ١٩٢٥

أترانى بين القرى والضواحي
إن تفتش عن ارتياح بلاد
ولذا أرتاحت البلاد تبدت
أرهقت شدة المظالم جيل
ما لهذا الفلاح فى الأرض روح
هو فى جنة ينال عذاباً
وقرى النمل لطف نفسه أترى
إن رغت حول بيته بقرات
ولذا لم تفده ألواح زرع
سعد لى قد أطرحت يراعى
لارعى الله معشراً مديناً
رب قصر من فوق دجلة كالطاوس
أتراه مدته دجلة أنفأ
نصبه كمنبر من ورود
لو كشفنا أطباقه عن أساس
ياضعيفا أرى الولاية عليه
أرهقته ضرائب باهظات
لم يفده سلاحه فهو ليث

طفت ظهرا وفى يدى مصباحى
فنفقد شؤنها فى النواحي
فى قراها علائم الارتياح
فإذا هم جيل من الأشباح
أهو من معشر بلاد أرواح
وهو تحت الأشجار أجرد ضاح
من قراه إلا من الانزاح
جارتها كباشه بنطاح
فبماذا تفيده ألواحى
وتناولت مريض الجراح
أفسدوا عيش عامل لصالح
للزهو ناشر بجناح
حين فاحت روائح القداح
فالمرأى من سوسن وأقاح
لوجدناه منجى الفلاح
أعرضت عن نصائح النصاح
وديون ثقيلة الأرباح
قتلوه صبراً بغير سلاح

لو نقدنا لقلب ذاك المعنى	لوجدناه متخفياً بالجراح
خص من نهره ومن شاطئيه	بخسيس المرعى وبالضحضاح
في مزوج من حولها قد تناغت	كل صداحة إلى صداح
ياربوعا حيوانها يتغنى	بسرور وأهلها في نباح
ومراع سروحها إن تناغت	جاوبتها رعاتها بصباح
كم على أرضها نكت بعودى	وعلى أهلها صفقت براحى
تسعد الشاة في المراح وراعى	الشاة يلقي شقاءه في المراح

* * *

الوطاب الفصاح في القطر خرس	كل عيني على الرطاب الفصاح
أسكتتها سود الليالى اللواتى	مزجت جدها لنا بمزاح
قد قرأنا أنجيل تلك الليالى	وقرأنا الإصحاح بالإصحاح
وإذا الناس كلهم في مساء	وعندهم أحلامهم بصباح

الاقطاع (*)

ألا قوة تستطيع دفع المظالم
ألا أعين تلقى على الشعب هاوياً
وهل ما يرجي المصلحون يرونه
تعالت يدُ الاقطاع حتى تعطلت
وحق استبدت بالسواد زعانف
إذا رمت أوصافاً تليق بحالة
ألا نستحي من أن يقال بلادهم
هي الأرض لم يخصص لها الله مالكا
ولم ييغ منها أن يكون نتاجها
عجبت لخلق في المغارم رازح
وأنكأ من هذا التغبان قرحة
وكم من خمول لاح في وجه مترف
لو اطلعت عينك أبصرت مائماً
ولأفما هذا الشقاء مسيطراً

ولانعاش مخلوق على الذل نائم
إلى حماة الادقاع نظرة راحم
مواجهة أم تلك أضغاث حالم
عن البت في احكامها يد حاكم
إلى نفعها تستاقه كالبهائم (١)
تعرفتها ضاقت بطون المعاجم
عليها من الاذلال ضربة لازم
يصرفها مستهتراً في الجرائم
شقاوة مظلوم ونعمة ظالم
يقدم ما تجنى يداه لغانم (٢)
غباوة مخدوم وفطنة خادم
وكم من نبوغ شع في عين عادم (٣)
أقيم على الاحياء قبل المآتم
له في جباه القوم مثل المياهم (٤)

(*) نظمت في عام ١٩٣٩

(١) الزعانف : أراذل الناس

(٢) المغارم : جمع مغرم وهو ما يتجمله الرجل من خسارة في مال أو دم

(٣) العادم : الفقير المعدم .

(٤) المياهم : جمع ميسم وهي علامة كاوية كان العرب في الجاهلية يضعونها على من يريدون
إذلالهم ،

إذا أقبل الشيخ المطاع، وخلفه من الزارعين الأرض مثل السوائم!
من المزهق الأرواح يصلى وجوهمهم

مهب أعاصير ولفح سمائم
قياماً على أعتابه يمحرونها
رأيت مثالا ثم لابن ملائك
خنوعاً وذلاً بالشفاه اللوام
حنايا من الأكوخ تلقى ظلالها
تنزل من عليائه وابن آدم
تلوت سياط فوق ظهر مكرم
على مثل جب باهت النور قائم
وباتت بطون ساغبات على طوى
من اللؤم مأخوذ بسوط الألائم
أهذى رعايا أمة قد تهبأت
وأتخمت الأخرى بطيب المطاعم
أهـذا سواد يبتغى للمسة
لنستقبل الدنيا بعزم المهاجم
أهذى النفوس الخاويات ضراعة
ونحتاجه فى المأزق المتلاحم
أمن ساعد رخو هزيل وكاهل
نباهى بها الأقران يوم التصادم
من الظلم أنا نطلب العزم صادقاً
عجوز نريد الملك ثبت الدعائم

من الشعب منقوض القوى والعزائم (١)

وأن ننشد الاخلاص فى تضحياته
ونحن تركناه ضحية غاشم
وأن نبتغى ركضاً حثيثاً لغاية
نحاولها من راسف فى أدام (٢)
لنا حاجة عند السواد عظيمة
سنفقدوها يوم اشتداد الملاحم
هنالك لا تجدى فتية صابة
إذا جد خطب فهمى أول راجم
وأن سواداً يحمل الجور مكرهاً
سيفقدوها يوم اشتداد الملاحم
يشن على الاقطاع حرباً مبيدة
ولا يخطئ فى الحق لومة لائم
يمد يداً تعطى الضعاف حقوقهم
ويسطو بأخرى باطشاً غير راحم
ويجتث اقطاعاً أقرت جذوره
وسياسة إفقار وتجويع أمة
سياسة إفقار وتجويع أمة

(١) منقوض القوى أى منهكها ومنهكها

(٢) الأدام القيود التى توضع فى أرجل المسجونين .

لقد قلت لو أصغى إلى القول سامع
ألا إن وضعاً لا يكون رفاهه
أمبتدات بالخجور تشلجت
ومفترشات فضلة في زرائب
أمن كدح آلاف تفيض تعاسة
وما ناأ بالهيب ثورة طامع
فما الجوع بالأمر اليسير احتماله
نذيرك من خلق أطيل امتهانه
بلاد تردت في مهـاو سحيفة
تبنت على وعد قريب بفتنة
ولو عولج الاقطاع حم شفاؤها
ولم أر فيما ندعى من حضارة
وها إن هذا الشعب يطوى جناحه
غداً يستفيق الحالمون إذا مشيت

وما هو منى بالظنون الرواجم
مشاعاً على أفراده غير دائم
وبالماء يغلى بالعطور الفواغم
يوسدها ما حولها من ركائم (١)
يمتـع فرد بالنعيم الملازم
ولكن جماع الأمر ثورة ناغم
ولا الظلم بالمرعى الهنيء لطاعم
وإن بات في شكل الضعيف المسالم
ونامت بأحمال ثقال قواصم
وتضحى على قرن من الشر ناجم
ومن لى بطب بين الخندق حاسم
وما يعتري أوضاعنا من تلاؤم
على خطر من ثورة اليأس داهم
رواعد من غضبانه كالزمازم (٢)

(١) الزرائب : جم زريبة وهي حظيرة المواشى :
(٢) الزمازم : جم زمزمة وهي ضجيج الرعد وزئير الأسد ، أو طقطقة النيران .

اليتيم

سئم العيش لم يذق غير صابه ناشيء كاد أن يذوب لمابه
ناشيء زهد البرية فيه أنه في الوجود من أذنا به
أيها الشعاعون من لصبي راعه فجأة نوى أحبا به
لم يشيع أباه للقبر حتى شيع الأم ، يلهول مصابه
جدث ضم أمه ، وأباه ، ودلو أنه انطوى في ترابه
جمل الانتحار طفلا غريبا لو دراه ماخاف سوء ارتكابه
اهزلت جسمه الصغير المآسى لم يطق حملها رقيق لها به
لفظته الحياة غضبي عليه - كذوبها - أعظم بطول عذابه
إن يخاطب في الناس هذا وهذا لم يجد غير ناهر ، ومجا به
فزوى عنهم اللسان ولكن ظل في عينه بليغ خطابه
غمر الخوف نفسه فهو يلقي كل شيء مكشرا عن ثابه
وهو بين المواظنين غريب يتشكى - كاليتيم - طول اغترابه
ليس يدرون ما بدا أصبي أم خيال يلوح تحت ثيابه
تتغاضى عنه العيون ازورار وتكف الاكف عن آرا به

صبح السقم وجهه باصفار

والطوى ، والسهاد ، أو ما يشابه

لم تبت عبقريته فيبيه لو لم - يحرم الوادي الفضان من سخابه

يهر النشء حوله كالفراشات
إذ يرى نضرة السرور عليهم
ويراهم يلهمون في كنف الأهل
ويراهم يتأون عنه فيخشى
ويرى ذاته تخالف نشأ
لم يجد مثله على الناس زهوا
ماله من شوؤهم غير ما لا
هدمته الخطوب جسماً وروحاً
إزدهاء فيثنى لا كتنابه
ويراهم مفتومة باجتنابه
فتندى الدموع من أهدابه
من تدانيه نخوم واقترابه
دأبهم في حياتهم غير دأبه
لا بأمواله — ولا أنسابه
مرء في الفقر من خداع سرايه
مثله يهدم النهي بارتيايه

...

كلما شاهد المقاصير ملأى
لم يشاهد في السكوخ يأوى إليه
خاشع تحت رهبة الليل فيه
تترأى الأشباح فيه فتمشى
كل شيء يراه يفرع منه
إذ يخال الدجى وجوه سعالى
ونجوم السما عيون بذاة
وحفيف الأشجار همس لصوص
هكذا عاش في مجاهل هذا
يطلب المنقذ المغيث فيثنى
بالنعم الرقاق ، أو أسجابه
غير إقفاره ، وغير خرابه
هل رأيت المسيح ، في محرابه
عاصفات الأهوال في أعصابه
فرع الجدى من نيوب ذنابه
يتوارى عنهن في جلبابه
سوف تنقض من عل لانتباهه
وقفوا من عريشه خلف باب
الكون رهن اكتبابه واضطرابه
عزمه اليأس خائباً من طلابه

ليس تصنى السماله ، لا ولا الأرض

فتنجيه من يدى أوصابه
ذاهل كالنئى يساق إلى الموت
أو كريان زورق في خضم
برئياً فى عنفوان شبابه
حطمته الأمواج وسط عبابه

كيف غابت مأساة شبابه عن شعراء الوجدان ، أو كتابه
لأنه لم يعيش كما هو إلا من تغاي عنه الشعور. الذابه
أين فضل الأديب في الشعب إن لم
يسعد الأشقياء في آدابه

... .

كفكفي يايد المبرات وإلا	حان دمع اليتيم يبكي لما به
كفكفيه لذاته ، أو لذات الله	يوم الجزاء — أو لشوابه
كفكفيه وقد دعاك الضمير الحى	فلتسرعى لرد جوابه
ياضنيننا على الفقير بمال	هو من جهده ومن أتعابه
لست بالمال فى الحياة سعيداً	بل ببر اليتيم ، أو أترابه
أى فضل لذى ثراء نراه	بشكايأ أخوانه غير آيه
رب مال يضيعه الدهر توأ	وثناء يبقى مدى أحقابه

إلى الأغنياء

أيهـا المشغلُ الخوان طعمـاً	راق للعين منظراً ونظـاً
حولـه صفت الفواكه أنوا	عاً ، وقد فاضت الكؤوس مداما
كل هنيئـاً واشرب هنيئـاً ، ولا تـهـ	بأ بمن قال : قد فعلت حراماً
أويمن قال - بعد ما طبت عيشاً	غمر الصحب صفوه والندامى -
أيطيب الطعام أكلا ، وتمنا الـ	خمر شرباً على أنين الأيـامى ؟
أم يلد الأفاطـور من قوت قوم	قد طورا يومهم إليك صياما ؟
لا تصـخ مسمعاً لنصح كهذا	واهـن واترك للبائسين الرخاما

. . .

لا تفكر بأن حولك ناساً	يتمنون أن يمـصوا العظاما
لا تفكر بهم ، وهبهم صخوراً	لا تحس الأوجاع والآلاما
لا تفكر بغير لـهو ، ودعهم	يلعنون الزمان والآياما
لا تفكر بأن خمرتك الصم	باء جادت بها دمـوع اليتامى
لا تفكر بأن قصرـك لولا	هم لما شيد واستطال دعاما
لا تفكر بما يكدر صفـو الـ	عيش ، أو ما يهول الأحلاما
لا تفكر ، وضح بالشعب ، واشرب	دمه - إن ظمئت - جاماً فجـامـا

. . .

كن كما شاءت النواميس ذنباً	فاتكـا بالضعاف أو ضرغامـا
ولتجد أنة التميم بأذنيك	لك غناء ؛ ونوحه أنغامـا
وانتزع من فؤادك العطف والرحـ	مة ، وازدد شراسة وانتقامـا
وأقو في الدهر أبدياً لنهب الـام	وال ، وانشط لمغنم اقتدامـا

واختزن ما استطعت قوت المسا
وتصامم إذا سمعت عويلا
وإذا سلبوا عليك فأعرض
وإذا خاطبك فامسكت، وقطب
أو ألحوا فابطش بهم، وليسموا
وترفع عنهم، ألسنت تراهم
وتفنن ظلماً وجوراً، ولا تخ
من هم في الوجود حتى يلاقوا
إنما أنت فوقهم أيها المو
أنت بمن عاشوا سراً، وهم بمن

. . .

وإذا ما شعرت يوماً بعطف
وإذا ما استطعت وجه إليهم
وعلى مثل ما فعلت فدرب
واجتهد أن ترى الفتاة تضاهي
وليكن فارغاً — كقلبك — هذا
وإذا ما عدلت قل : أيكم يا
إننا — الأغنياء — لم نر هذا
نمنع النخيل أهله ، لانبالي

نحوهم فأنف هذه الأوهاما
بدل المال من يدك سهامها
آلك الغر ، أو ذريك الكراما
أختها ، والغلام يحكي الغلاما
القصر عطفاً ، ورحمة وسلاما
قوم بالبنائين يبدى اهتماما
الحلق لحلق إلا كما رأينا السواما
أن نسمى أشحة أو لثاماً

الفلاح

رفقا بنفسك أيها الفلاح
لك في الصباح على عنائك غدوة
هذى الجراح براحتيك عميقة
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم
فيخر سقفك إن همت عين السما
حتى الحمام عليك رق بدوحه
هذى ديونك لم يسدد بعضها
بغضون وجهك للمشقة أسطر
عرق الحياة يسيل منك لآثماً
أتصد جيش الطامعين ولم يكن
قد كان يجديك الصباح لديهم
يتنازعون على امتلاكك بينهم
كم دارت الأقداح بينهم ولم
حسب الولاة الحاكمون على القرى
كيف التفاهم بين ذينك ، نائح
قد أنكروا البؤس الذي بك محقق
عجباً أينكر بؤس سكان القرى
يا غارس الشجر المؤمل نفعه
أقلعه فالثر اللذيد محرم

تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
وعلى الطوى لك في المسامر وراح
ونظيرها لك في الفؤاد جراح
ما فيه لا شمع ولا مصباح
ويطير كوخك إذ تهب رياح
فله بحقك رنة ونواح
عجزاً فكيف تسدد الأرباح
وعلى جبينك للشقا ألواح
فيزان منها للغنى وشاح
لك في الدفاع سوى الصباح سلاح
لو فجر الصخر الأصم صباح
فلهم عليك تشاجر وكفاح
تملا بغير دموعك الأقداح
أن ثم أجساد ولا أرواح
يشكوا العذاب وسامع مرتاح
أفينكرون الحق وهو صراح
إلا وجوه كالصفير وقاح
دعه فإن ثماره الأتراح
للغارسين وللقوى . مباح

أصبحت ثورتك الحقول أسي فما
 ترتاع من مرأى الشخيل كأنما
 ياواهب الخير الجزيل لشعبه
 أفنت حقولك آفة أرضية
 طير السعادة طار عنك محلقا
 قد أقسم البؤس الذي بك نازل
 تقضى حياتك بالعناء ولم تكن
 سر بيؤسك فاضح لذوى الغنى
 حتى م يا هذا لسانك ألكن
 كل الجناح على الضعيف إذا اعتدى
 ياريف إن كتاب بؤسك مشكل
 أطيّار روضك غاها باز العدى
 الورد قد خنقة أشواك الربى
 ياريف مالك شرب أهلك آجن

يحتاج أنسك نشرها الفياح
 سعف النخيل أسنة وصفاح
 أكذا يجازى بالعقاب سماح
 عانت بها وشعارها الإصلاح
 وعلى ولاتك رف منه جناح
 أن لا تمر بدارك الأفراح
 فى غير أيام السقام تراح
 لو أن شرك فى البلاد يباح
 وإلى م السنة الطعاة فصاح
 أما القوى فما عليه جناح
 ميا بجل رموزه الشراح
 وعدا على أسماك التماسح
 ظلماً وفر البلبيل الصداح
 دنق وشرب ولادة أمرك راح

أيها العمال

أيها العمال أفنوا
واعمروا الأرض فلولا
إن لي نصحاً إليكم
في زمان غبي النسا
أين أنتم من جدود
قلدوه الأثر المعجز
وكسوه أبد الدهر
أتقنوا الصنعة حتى
إن للبتقن عند الله
أتقنوا يحببكم الله
أرضيتم أن ترى مصر
بعد ما كانت سماء
أيها اجمع لقد صر
لن لغينا للقوم
فتوقع أن يقولوا
ليس بالأمر جديراً
أو سخا بالمال أو
أو رأى أمية فا
فتخير كل من شب
واذكر الأنصار بالأ

العمر كدا واكتسابا
سعيكم أمست يبابا
إن أذتم وعتابا
صح فيه أو تغابي
خلدوا هذا الترايا
والفن المعجبابا
من الفخر ثيابا
أخذوا الخلد اغتصابا
والناس ثوابا
ويرفعكم جنابا
من الفن خرابا ؟
للصناعات وغابا
ت من المجلس قابا
ليس تألوك ارتقابا
من عن العمال نابا
كل من ألقى خطابا
قدم جاهها وانتسابا
ختلب الجمل اختلابا
على الصدق وشابا
مس ولا تنس الصحابا

أيتها الغادون كالنحل	ارتياداً وطلاباً
في بكور الطير للرزق	مجيئاً وذهاباً
أطلبوا الحق برفق	واجعلوا الواجب دأباً
وامتقيموا يفتح الله	لكم باباً فباباً
واهجروا الخمر تطيعوا	الله أو ترضوا الكسباً
إنها رجس فطوبى	لأمرئ كفف وتاباً
ترعش الأيدي ومن	يرعش من الصناعات خاباً
إنما العاقل من	يجعل للدهر حساباً
فاذكروا يوم مشيب	فيه تبكون الشباباً
إن للسن لهما	حين تعلو وعذاباً
فاجعلوا من مالكم	للشيب والضعف نصيباً
واذكروا في الصحة	الداء إذا ما السقم ناباً
واجمعوا المال ليوم	فيه تلقون اعتصاباً
قد دعاكم ذنب	الهيئة داع فأصاباً
هي طاروس وهل	أحسنه إلا الذناباً

« دار العمال »

نظمت سنة ١٩٣٥

وترقب لها بلوغ الكمال	حتى دار العمال بالإقبال
يرفعوا بيثهم عزيز المثال	وانتظر رافعي الدعائم حتى
ولهم في غد صروح عوالى	رفعوا أمس ما علا من صروح
من يكن مؤمناً به لا يغالى	ولهم في غد من الأمر قسط
م ، وليبيكم غداً في المجال	أيها العاملون لبيكم اليوم
جرد البغي جيشه لاغتيال	نعم جيش السلام أنتم إذا ما
أمة قط تركها في نزال	لكم العدة التي ما استطاعت
من حديد ، وأظهر من جبال	ولكم أذرع شداد ، وأيد
إن فقدتم ذخائر الأموال	ولكم في اتحادكم رأس مال
سادة في نفوسهم كالوالى	ولكم صيحة يهاب صداها
يبلغ المرجفون بالآهوال	فابلغوا بالوئام والصبر ما لا
وانبذوا كل عاطل مكسال	لا يستخركم المستخر جهلا
حتى ذوى الغنى والملال	حبذا الناس يعكفون على الأعمال

...

يملأ الناس دوره وهو خال	لا يكن من بنى الكنانة باغ
جمعت من مصارع الآجال	ويكيل التضار وهو دماء
باء فيها المجد بالإقلال ؟	كيف ترفع عناية الله أرضاً

يأسج الخز الحرير ويمشى . حافياً في الرقاع والأسمال
ويشيد القصور وهو شريد في زوايا الكهوف والأطلال
ويدر الغنى وما في يديه شبعة الوالدين والأطفال
يهب المترفين عمر فراغ وهو باكي الأيام باكي الليالى
ذاك ظلم نعيذ بالله مصرأ من أذاه في مقبل الأجيال

...

أيها المنقذون بنية مصر من فتور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنتم قوة في يمينها والشمال
حظكم حظها من العلم والصحة والبأس والحجا والخصال
كلما نالها نصيب من الخير فأنتم لكم نصيب تالى
أعجب الناس عامل في بلاد صاح فيها : ما للبلاد ومالى
لا تقولوا العمال حسب وأنتم في بلاد تموج بالعمال
إن مصرأ تنال من غاصبيها أجر بخس وخدعة ومطال
وهى أرض للواغلين عليها سطوة أشجية الإيفال
كل من في جوانب النيل عان مستغل الجهود والآمال
كلهم غارس لآخر يحنى ثمر الماء والثرى والرجال
وإذا ما تفرقوا طبقات جمعهم جوامع الأغلال
وإذا قيل موسر وفقير فقصارهما إلى استغلال
حققوا الأمر ما قضيه مصر بعد إلا قضية العمال
فاعملوا جهدكم لمصر جميعاً واتبعوا خطة الهدى لا الضلال
ما لكم منصف ولا لبيها منصف قبل يوم الاستقلال

الاشتراكية (١)

إن ما تراه من الاشتراكية فى الغرب ، وما تتوخاه من المنافع بذلك المذهب ، فى شكله الحاضر ، وأسسها ، وتخطيط واضع مبادئه ، كل ذلك يعكس نتائج الاشتراكية ، ويجعلها محض ضرر بعد أن كان المنتظر منها كل نفع .

الاشتراكية الغربية ، ما أحدثها وأوجدتها إلا حاسة « الانتقام » من جور الحكام والأحكام ، وعوامل الحسد فى العمال من أرباب الثراء ، الذين إنما أثروا من وراء كدهم وعملهم ، وادخروا كنوزهم فى الخزائن ، واستعملوا ثروتهم فى السفه ، وبذلوها فى السرف والتبذير والترف ، على مرآى من منتجها ، والفاعل الغافل فى استخراجها من بطون الأرض ومن تراها ... إلخ .

وبالاختصار ثمرات عمل العمال بكل أنواع حاجة العمران :

فكل عمل يكون مرتكزا على الإفراط لا بد أن تكون نتيجته التفریط . أفراط الغريبون (الأغنياء) بنيد حقوق العمال والفقراء وراء ظهورهم ، فأفراط العمال بمناهضة أهل الثروة وغاصبي حقوق الأمة ، بالمناصب ومسببات الجاه ، فلا قاعدة دينية يرجع إليها ، ولا سلطاناً وازعاً يعمل بقمه لصالح المجموع ، لذلك أصبح أمرهم فى الاشتراكية فوضى ، واسوقت ينمكس أمرها .

أما الاشتراكية في الإسلام ، فهي ملتزمة مع الدين الإسلامي ، ملتصقة في خلق أهله . منذ كانوا أهل بداءة وجاهلية .

أول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالإسلام هم أكابر الخلفاء من الصحابة ، وأعظم المحرضين على العمل بالاشتراكية كذلك من أكابر الصحابة أيضاً ، وإليك البيان :

أما أن الاشتراكية من خلق البداءة ، فالبرهان عليه ما كان من أهل الثراء منهم ، ومواساته لأهل قبيلته وعشيرته ، ولا أعد كثير من ذلك ، بل اجتزى بمن اشتهر منهم مثل : حاتم الطائي ، في السنين المجدة ، وكيف أنه نحر أعز ما لديه (وهو فرسه) ، ذلك لجرد بحى امرأة من أقصى قبيلة طى ، إذ قالت له : يا حاتم قيل لنا أن عندك لحماً عبيطاً فأنت بصبيتي فقال : صدقت ، ثم نحر فرسه وأشعل ناره (تلك العلامة التي كانت كدعوة للجموع يعلمون منها أن هناك طعاماً) فيأتون لمساكن الدخان في النهار ولشعلة النار ليلاً ، ويشتركون جميعهم في المأكل دون أدنى مئة لصاحبها ، لأن الأمر بينهم منازعة يفعله الميسور والمثرى ، كل على نسبته وما لديه من سعة .

هكذا فعل حاتم مع من قصده وأطفالها ، ويمر رأى النار ويمر نحوها من أهل جواره وقبيله . وقد تواتر الخبر بأن حاتماً لم يذق من ذلك اللحم شيئاً ، مع كونه قريماً سخيلاً .

وهناك رجل آخر من رجال العرب ، وهو « طلحة الطلحات » ، كان شأنه ، أن كل أعزل ، معدم يأتيه يقول له : « دونك الغرس والرمح والسيف فمضى أن تكتفى بها ذل السؤال » ، وأن لم تفعل ولم تحسن العمل بها ، فلا أرشدك الله ولا أغناك .

يقال أن ذلك الرجل « طلحة » ، المثرى بالخيـل والسلاح ، جهم على المهنـال المذكور ألف فارس ، ولم يبق عندهم إلا ما أعطى لواحد منهم .

فكان كل فارس من جهزهم طلحة إذا أتاه غلام سماه طلحة فلم يمحض كثير من الزمن إلا وكان في تلك القبائل أبناء أولئك الآباء مئات من ذلك الإسم فسمى «طلحة الطلحات» .

هذا مثل من الاشتراكية قبل الإسلام ، ومنه يعلم أن الثروة كانت ولا تزال موجودة في الأفراد ، ولكن حسن إستعمالها ، جعل الاشتراكية أمراً مقبولا ، وصفة مدوحة ، إذ لا أنانية ولا أثره ، ولا استغلال على الفقير بخيول مطهمة يستأثر بها ، ولا بطعام شهى يلتذ به مع لفيفة ، ولا أبناء شاحق يسكن فيه ، بينما يوجد مسبب ومهيء تلك النعم كلها ، ذلك العامل الفقير الذي يسكن كوخاً حقيراً ، نصف أعضائه وأبنائه في خارجه ، عرضة لصبارة القر وأواردة الحر ، لا يملك من القوت خبزاً كافياً ، ولا من الملبس ما يستر به تمام العورة .

هذا ما عليه اليوم أهل الثروة ، وهذا ما استبضر طبقة العمال للبطالة بالاشتراكية وفي نفيرهم روح الانتقام والإفراط في المطالبة بحقوقهم ، يقابله التفريط في زجرهم ، وعدم الرضوخ لما يطلبونه من الحق ، وسوف يتفاقم الحطب ، وتعم من جراء ذلك البلوى في الغرب ولا يسلم منها الشرق .

أما الاشتراكية في الإسلام ، فهي خير كافل لجعلها نافعة مفيدة ، ممكناً الأخذ بها لأن الكتاب الديني ، وهو القرآن أشار إليها بأدلة كثيرة ، منها أن المسلم أول ما يقرأ فاتحة الكتاب (الحمد لله رب العالمين) فيعلم أن الخلق رباً واحداً ، وهو مع تنائر الخلق من المربوبين على السواء .

ويرى ، ويعلم أن القرآن أتى على ذكر أرباب القوة ورجال الحرب والغزاة ، ومن يتولى أمرتهم وقيادتهم ، مخاطبهم أمراً ومعلماً ومدافعاً ، ومبيناً حقوق المستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك مع من ذكر ليكون لهم من ذلك الجهاد وتلك المساعي نصيب ، إذ قال (واعلموا

إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ، وللرسول ، ولذی القربى ، والیتامى ،
والمساکین ، وابن السبیل ، إن كنتم امنتم بالله وما أنزلنا علی عبدنا يوم
الفرقان يوم أتقى الجمعان ، والله علی كل شيء قدير) .

هذه آية باهرة ، أوجبت علی من يسعى مجاهداً ، ومخاطراً بحياته أن
يكون مشتركاً معه بنتيجة غزواته وغنائمه . من لم يكن مشتركاً فعلاً ، فأعطى
أولاد الله تعالى ، نصيباً ، ومرجع ذلك النصيب لعباده ، ثانياً ، وللرسول ، ثالثاً ،
لذوی القربى ، ، وهم لا شك من المستضعفين الذين إما قعدوا عن الاشتراك
في الجهاد ، والسعى وراء الغنائم ، لعل تختلف أشكالها وأنواعها ، ولكن
الدين لم يحجز حرمانهم بل جعل لهم نصيباً من مساعى أولئك الأشداء
الأقوياء المجاهدين ، الخاضعين غمرات الموت . . . الخ ، .

كل ذلك نراه مبنياً علی حكمة الاشتراك ، ولبت حكم هذه الآية جازياً ،
وكان الرضاء به شاملاً لمجموع المسلمين ، من مجاهد أو قاعد عن الجهاد لعله ،
فبدأ بالدرجة الأولى بعد الله ورسوله بذوی القربى من المجاهدين علی
درجاتهم (ممن ينظر بمحاجات أولاد المجاهدين وعيالتهم عند تغيبهم) وعطف
علی من دونهم فی المرتبة الثانية ممن ليس لهم فی المجاهدين أقرباء ، فقال
« والیتامى » ، ثم وسع نطاق الاشتراكية فقال « والمساکین » ، ثم رأى أن
يأخذ نطاقاً أوسع فقال : « وابن السبیل » ، أى عابر ، فتم بهذا الشكل نوع
من الاشتراكية لم يكن أوسع منه شكلاً ، ولا أنفع .

ثم جاء بموضع آخر من الكتاب ، مقررأ لمن یکنزون الذهب والفضة
ثم حذب وأثنى علی الذين یؤثرون علی أنفسهم بالعطاء والاسعاف والاطعام
ولو كان بهم خصاصة .

وهكذا ترى قانون الاشتراكية المعقول فی آیات القرآن ترى . فلننظر
هل عمل بهذا القانون ؟؟ وما كانت نتائج العمل به ؟؟

نعم . . إن الأخاء الذى عقده المصطفى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، لهو أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراكية قولاً وعملاً . فالمهاجر من المسلمين إنما استطاع أن يفر بدينه راضياً بهجره بلده ، وترك مسقط رأسه ، ومفارقة أهله وذويه ، والخروج من ماله ومقتناه ، مسروراً أن يصل لدار الهجرة سالماً .

والانصارى وهو فى بلده مع آله وذويه وماله ، قبل راضياً مسروراً أن يشارك أخاه المهاجر بكل معنى الاشتراك . حتى لو تطلع الانسان منا اليوم ، وأشرف على تلك الأرواح الطاهرة ، لرأى فى مجالى الاشتراك ، روحاً وجسداً ، ما يهبر له عقله ، واهصح اعتقاده أن عمل الدين وتأثيره فى تلطيف الكشافة الجسمانية ، لا يضارعه مؤثر وعامل آخر على البشرية ، وارجعوا إليه لو كانوا يعقلون .

* * *

لما كان مذهب الاشتراكية ، كبقية المذاهب والمبادئ ، لها طرفان وخير الأمور أوساطها رأى الشارع الأعظم أن تنعم فريق من قوم وشغاه الفريق الآخر ، فى محيط واحد ، وبمساح ليس بينها وبين مساعى الآخرين كبير تفاوت ، مما لا يتم به نظام الاجتماع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم (بالمؤمنين رحيمًا) ، فجاءه عن طريق الوحى ، — وهو نتيجة تمحيص نزغات النفس البشرية ، ماعسى أن ينتجم من المضار أو المنافع لها — فوضع للدين أركاناً خمسة ، ومن تلك الأركان فرض الزكاة ، فى المال والأنعام . . الخ.

ثم أضاف إليهما كما سبق ، «عنائم الحروب» ، فأخذ منها قسطاً بمقدار الخمس ، ثم بعد ذلك حرض على بذل «الصدقات» ، وحرم «الربا» ، بنكتة غاية فى الحكمة ، وهى أن لا يؤكل الربى أضغافاً مضاعفة ، وهو ما وفع عليه

التحريم . ولكي يكون للإمام مخرج إذا فضت المصلحة بالتسامح للحكم بجواز الربا المعقول ، الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ، ويصير أضعافاً مضاعفة ، وفرق صراحة بين احتيال المرابين المتلبسين بالدين ، الذين يتظاهرون بالتجنب عن الربا ، ببيعهم سلعة قيمتها الحقيقية مائة درهم ، يحرون عقد بيعها مع المشتري المضطر بثلاثمائة درهم ، وحقيقة هذا الفرق إن هو إلا نصيب الربا وعينه ، وإنما يجعلونه عن طريق البيع ، ويخدعون أنفسهم بأنهم تخلصوا من ارتكاب جريمة الربا التي حذرنا عليها الدين .

وإليك بعض ما جاء بهذا الشأن بالقرآن (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، واتقوا الله لعلمكم تفلحون) .

أما ما جاء في الحث على الصدقات فكثير ، كقوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي ، وأن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير) .

وقال (إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله) . وقال (إن الحسنات يذهبن السيئات) ، وأمثال ذلك كثير في الكتاب والحديث ، حثاً وتحريضاً على البذل ، ومواساة الفقراء وأهل العوز ، درءاً لمفسد أرباب المطامع ، وسداً لهوامل حسب الحساد لأهل الثروة والنعيم . . الخ . .

أما الثروة فتختلف بكميتها من مائة إلى ألف ، وملايين من الدنانير ، ولكن لا تختلف بكيفيةها ، بمعنى أن رجلاً يملك مائة دينار بين قوم لا يملك أفرادهم إلا دراهم معدودات ، فيمكن لصاحب تلك المائة أن يظهر بمظهر الثراء ، ويأخذ من التمتع حظاً نسبياً ، ويلفت أنظار قومه ويدعوهم لحسده هذا إذا تبادى بالإثرة والأناية ولم ينل قومه منه رشاسة فضل ، على حد قول زهير بن أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
وقد قلنا عن زمن الجاهلية وعصر البداوة مافية الكفاية ، ومختصره أن أعظم مثر كان يتساوى في مسكنه ومأكله وملبسه مع أفراد قبيله وعشيرته ، فلا تتحدث نفس ذلك المجموع بأدنى حاسة من الحسد ، أو داع إلى الانتقام .

ثم جاء الاسلام ، فكان أكبرهم منصباً ، وهو الخليفة لرسول الله يعمل بسيرة نبيه من الاكتفاء بالقليل من العيش ، الكفاف منه ، ومجالسة الفقراء ، ومشاركتهم بكل معنى الاشتراك في مظاهر الحياة الدنيا ونعيمها . لبقائل أن يقول أن شظف العيش في زمن النبي المصطفى وخلفائه كان يدعو بطبيعة الأمر إلى عدم التجاسد .

فنقول أن الفتح الاسلامى في زمن أبى بكر الصديق بلغ من الملك مبلغاً عظيماً ، وجاء بالمغانم الكثيرة ، ومع ذلك لانرى أن وضعية الخليفة أبى بكر قد تغيرت ، ولا «ظاهر وزرائه وقواده تبدلت ، ولا حاسد ، أو يجعل في نفوس غيرهم أقل عضه .

ولا ريب أن الفتوحات في زمن الفاروق عمر بن الخطاب قد امتدت فصارت أوسع نطاقاً ، والمغانم أعظم وفراً ، والنفوس البشرية مع هذه العوامل قل ما تنجو من تطلع للسرف والترف ومهيبات الاستطالة والأناية

« (وقد توفرت أسبابها) وبالفعل ورغماً عن قرب العهد بسيرة الشارح وخليفه أبي بكر ، وتمسك الفاروق بسيرتهما ، فقد آتته الأنباء الصادقة بمن يشه لمراقبة سير ، وسيرة عماله بأنه قد فشلت لعامل مصر د عمرو بن العاص ، وعامله في دمشق معاوية بن أبي سفيان ، وغيرهما من العمال في العراق وغيره ، هيئة بذخ وسرف وثرأء ، فخشى معه حصول ميزة الأكاسرة لأولئك الأفراد من العمال ، الخادمين للمجموع ، ويصرفون سلطان الحكم ، ونفوذهم بغير وجوه الحق ، فتدب النفرة على سبيل التدرج إلى نفوس الأمة من حكامها ، وبالأخير تنقبض تلك النفوس عن الطاعة الاختيارية ، وتفقد الثقة ويضعف الإيمان ، ويتزلزل البنيان ، ويعمم البلاء (والعياذ بالله) .

فأسرع الفاروق لملافة ذلك الخلل بتقريع عماله بأخشن الأقوال ، عظة وتحذيراً ، وقتلاً للغرور ، فخاطب عامله في مصر بقوله : « إلى العاصي بن العاص . ما أقطعك مصر طعمة لك ولقومك . . » وبمثل قوله له : « لا تبالي أن تحيا أنت ومن معك ، أن أموت أنا ومن معي . . » وبمثل قوله : « متى كان بن العاص في مثل ما بلغتني عنه من ثراء ودور وقصور . . الخ . . » وهكذا خاطب عامله في الشام معاوية بن أبي سفيان ، وهدده بأن يتجنب غطسة هرقل ، وتعاضم الأكاسرة والقيصرة .

ولم يكتف بما قاله ، بل أرسل معتمداً وبيده أمراً مبرماً أن يشاطر كل عامل بمقتناه ، من ثروة ومتاع ، حتى أن ذلك المعتمد أخذ فردة نعل العامل وترك له الأخرى .

هذا درس عملي وعلمي للملأ المسلمين ، أفهم فيه الفاروق الخاكم والمحكوم عدم سواغية الأثرة والاستطالة ، وعمل بذلك على محل دواعي الحسد من الصدور فعلاً .

فلننظر ماذا فعل عمر بن الخطاب بما صادره من أموال العمال ؟ وماذا صنع

بمغانم كسرى وقصر؟ وماذا ظهر على ذلك الخليفة من آثار عظمة الملوك
والأمراء ، سواء في مسكنه أو ملبسه أو مأكله ؟؟
ضمر عليه ، مع كل ما يتوفر لديه ، أن لباسه كان أحقر ما يلبسه الفقير
في الأمة (وموقعيته مشهورة في تواريخ الأمم ، وأن فيها مع رقع الأقمشة
رقعة من آدم ، أى من جلد) .

وأما مسكنه ، فكان يقضى سحابة يومه في سقيفة حقيرة يدخل إليها
مطاطىء الرأس ، ينظر في شئون الخلافة ، ويقضى وقت استراحته في البقيع
وجبانة الأموات . .

وأما مطعمه ، فكان خبز الشعير الغالب عليه ، بينما كان يطعم الأيتام
والأراامل والمستضعفين من المهاجرين والأنصار ، خبز البر والسمن ، والتمر ،
وينيلهم كل ما كان مناله عزيزاً إلا لأهل الثراء إذ ذاك .

هكذا كان يشاركهم مع نعيم الأغنياء ولا يشترك معهم فيه ، فضلاً عن
بذل المال للمحتاجين ، وفروض القروض لهم من بيت المال ، وإعطاء
الجوائز لمن كان له أو لأبائه سابقة في الإسلام ، بعشرات الألوف ومئات
الألوف ، كل على حسبه .

فأهل الإسلام . مع تمخض سلطان الحرية فيهم ، لم يروا في سيرتي
الصديق والفاروق رضى الله عنهما ، ما يدعوهم إلى أقل تذمر ، أو تململ ،
أو تفكير بمناهضة لسلطانهما ، أو تألب على قلب أشكال حكمهما وأمرتهما ،
أو إحداث شغب يعرقل مساعيهما في الفتوحات ، بل كانوا يبذلون النفس
والنفيس في طاعة الخلفاء تأييداً لشوكة الإسلام وتعميماً لعدل الشريعة
السمحاء .

هذا كان موقف الخلفاء ، وحال الأمة معهم ، ولذلك تجلى العدل المطلق
في الأحكام ، والتزم الحكماء التقيد به قولاً وعملاً .

وهكذا مضى زمن خلافة الفاروق ، وجاء زمن خلافة عثمان بن عفان ،

وفي خلالها ظهرت خاصة للامويين، تدمير منها الهاشميون وأكثر القرشيين،
وفي مقدمتهم أبناء الصديق والفاروق ، ومن كان على وأبيهم ... إلخ ..

في زمن قصير من خلافة عثمان ، تغيرت الحالة الروحية في الأمة تغيراً
محسوساً ، وأشد ما كان منها ظهوراً ، في سيرته وسير العمال والأمراء
وذوى القربى من الحقيقة ، وأرباب الثروة ، بصورة صار يمكن معها الحسن
بوجود طبقة تدعى «أمراء» وطبقة «إشراف» وأخرى «أهل ثروة وثراء
وبذخ» ، وانفصل عن تلك الطبقات ، طبقة العمال وأبناء المجاهدين ، ومن
كان على شاكلتهم من أرباب الحمية والسابقة في تأسيس الملك الاسلامي وفتوحاته ،
ونشر الدعوة ، وصار يعوزهم المال يتطلبه طرز الحياة ، والذي أحدثته
الحضارة الاسلامية ، إذ كانوا مع كل جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم
لا يستطيعون اللحاق بالمنتهم إلى العمال وزجال الدولة ، وقد فشت العزة
والاثرة والاستطالة ، وتوفرت مميزات الترف في حاشية الأمراء وأهل
عصبيتهم ، وفي العمال وبمن استعملوه وولوه من الأعمال ... إلخ .

فنتج عن مجموع تلك المظاهر التي أحدثها وجود الطبقات المتميزة عن
طبقة العاملين والمستضعفين في المسلمين ، تكون طبقة أخذت تتعهمس بشيء
من الظلم ، وتحفز للمطالبة بحقوقهم المكتسبة من مورد النص . ومن سيرة
الخليفة الأول والثاني أبي بكر وعمر .

كان أول من تنبه لهذا الخطر الذي يهدد الملك . والجامعة الاسلامية ،
الصحابي الجليل «أبو ذر الغفاري» فجاء معاوية بن أبي سفيان ، وهو في
الشام . وخاطبه بوجوب الرجوع إلى سيرة السلف ، وبتقليل دواعي السرف
والترف ، وعدم التماهي في مسببات الحسد ، والعمل على نزعه من العاملين
من رجال المسلمين ، وذكر مواعظ كثيرة ، وعدد أخطاراً جمّة ، من وجود
طبقة فقيرة ، جاملة مفكرة في المسلمين ، يكتنفها شظف العيش وقلة ذات

اليد بين ظهري قوم أكثرهم ممن لا سابقة لهم في الاسلام ولا لأبائهم ،
ولا من الصفات المحموده ، ولا من المجهودات أو المميزات العلمية والجسدية ،
ما يولهم أو يعطيهم حق ما هم فيه من التمتع وطيب العيش والرخاء (غير
محض الانتماء والأدلاء بولاء لآل حرب وعمالهم) .

فأجابه معاوية بما معناه : « يا أبا ذر ان ما تقوله هو الحق ، ولكني ليس
في استطاعتي الرجوع ، لا إلى سيرة الصديق وسيره ، ولا إلى العمل الذي
كان يعمل به الفاروق ، وغاية ما في إمكاني ، الحث على بذل الصدقات ، والقول
للين ، إرشادا ، وعن طريق الوعظ ، لتخفيف دواعي الحسد ، وغير ذلك
فلا سبيل إليه » .

فقال أبو ذر : يا معاوية ، قد نصحتك ، والدين النصيحة ، فاحذر أنت
والخليفة عثمان مغبة ما انتما عليه ..) وذهب من مجلس معاوية مغاضباً .

واجتمع مع طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين ، وقص عليهم من
سيرة السلف أشياء ، وأطلعهم على ما قاله عامل الشام معاوية بن أبي
سفيان ، وأردفها بإعلانه مشاركتهم في كل ما يتحسسون به قلباً وقالباً .
وبمختصر القول ، انه شجعهم على النهضة والمطالبة بحق صريح لهم اهتضمه
جماعة بغير وجه شرعي ، ولا بإجتهد امام سلف .

فكان من وراء عمل أبي ذر هذا ، أن حصل شيء من التهيج والانفعال
النفسي ، مما خشى معه معاوية وأعوانه سوء المصير .

فجمع معاوية كيده ، واستنجد دهاءه ، وبعث لأبي ذر ليلاً بألف دينار ،
فقبلها أبو ذر ، وفي الحال بادر لتفريقها على الفقراء والمعوزين من المسلمين .
وفي ثاني يوم أرسل معاوية رسولا (بتعليم منه في الإرسال الأول وفي
البعث الثاني) وقال : يا أبا ذر ، أنفذي من عذاب معاوية ، فإن الألف دينار

لم يرسلها اليك ، وإنما غلطت ، فقال أبا ذر : والله لم يبق معي من دنائره ولا دينار ، فلم يمانني حتى أخذها بمن وزعتها عليهم من المستحقين في المسلمين .

وعلم معاوية صدقه وضاق به ذرعاً ، فكتب إلى الخليفة عثمان مستنجراً من لقاءات أبي ذر ، وما أحدثه من التأثير في النفوس ، فأجابته مستسرعاً إرسال أبي ذر إليه ، فأرسله .

ولما تقابل مع عثمان لم يسمع منه أكثر مما سمع من معاوية ، وأنه لا يمكنه أن يفعل ما فعله الفاروق مع العمال من مصادرة ما عندهم من الثروة ، ولا أن يرجع ما كان من حالة مجموع المسلمين في عهدى الصديق والفاروق إلا عن طريق الحث على بذل الصدقات والاحسان فقط . قال أبو ذر : (يا عثمان أما تذكر حديث رسول الله) — ومعناه — (إذا وصل البناء إلى صلع .. واستعلى في المدينة .. وفشت .. الخ ..) وجبت الهجرة . أو كما قال في مكان آخر : يا عثمان : ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلماً . (وهو جبل في المدينة) فما قد استعلى بناؤك ، وبناء قريبك معاوية ، وأعوانكم ، فاستودعك الله ، تاركاً لك ، ولمن استعملت من العمال (أعمالكم) ، والله من ورائكم محيط .

فألح عثمان على أبي ذر ، ألا يفعل ، فقال أبو ذر : إن رسول الله أولى أن يتبع . وبالفعل قد هاجر أبو ذر من المدينة (١) .

كان في عمل أبي ذر هذا ، أنه قد أخذ بعض النصيح لخليفة المسلمين إذ ذاك (عثمان وينصح عماله) ، وبالدفاع عن حقوق المسلمين ، كي لا تتكون

(١) والواقع أن عثمان قد نفى أبا ذر ، إلى « الرينة » ومنع الصحابة من وداعه لكنهم خالفوه وودعوه .

ظبطته اشتراكية يكون رائدها (الانتقام). بل دعاهم إلى العمل بنص القرآن والافتداء بمن طبق ذلك النص عملا من الخلفاء كأبي بكر وعمر.

هذا مختصر ما علم به الدين الإسلامي من الاشتراكية المعقولة ، النافعة للمجموع الإنساني ، وما عمل به أكبر خلفاء الاسلام .

وكل اشتراكية تخالف في روحها وأساساتها اشتراكية الإسلام ، التي سبق ذكرها ، فلا تكون نتيجتها إلا ملحمة كبرى ، وسيل الدماء ولا سيل العرم من الأبرياء ، ومن تخريب لبناء لا يشاد عليه شيء . ينتفع به أحد من الخلق . نعم .. يستفيد من يلوك بلسانه كلمة الاشتراكية ، ويجعلها حيلة صيد ، وهي كلمة حق يراد بها باطل .

أكرر القول : إن اشتراكية الاسلام هي عين الحق ، والحق أحق أن يتبع .

ودعوى الاشتراكية وأن قل نصرؤها اليوم ، فلا بد أن تسود العالم ، يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان أنه وأخاه من طين واحد ، أو نسمة واحدة ، وأن التفاضل إنما يكون بالأنفع من المسعى للمجموع ، وليس بتاج أو تاج ، أو مال يدخره أو كثرة خدم يستعبد بها ، أو جيوش يحشدونها أو غير ذلك من عمل باطل وبجيد زائل ، وسيرة تبقى معرة لآخر الدهر .

شكر وتقدير

في ختام هذا الكتاب لابد أن أزجى شكري وتقديري إلى أولئك الإخوان الأفاضل الذين أعانوني على إخراج هذا الكتاب سواء بإعداد المصادر أم بكتابة النصوص على الآلة السكتية أو استنساخها ، منهم الأستاذة محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف الشاروني وطالب جميل وأنور الجندى والدكتور عبد الله درويش والدكتور عبد الجبار المطلي وفؤاد أمين وصالح الشكري ويسرى محمد سلامة. وطلابى فى المعهد وشكرى الخالص للشاعر محمد أحمد العزب الذى أعاننى معاونة صادقة ومخلصة فى تصليح الكتاب والآخر محمد منير عبد اللطيف الذى أعد فهرس هذا الكتاب .

وأخيراً شكري للصديق العزيز الأستاذ عبد الرحمن الحضير المحامى الذى صاحبنى فى القاهرة أثناء إعداد هذه المحاضرات فكانت صعبة جميلة هيأت لى جواً من الراحة والإلفة بما أعاننى على العمل وقرأ معى أكثر من نصف هذه المحاضرات وقام على إعدادها للطبع .

من مؤلفات الكاتب

- ١ — الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر .
الطبعة الأولى بغداد ١٩٥٨
الدار القومية — الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٥
- ٢ — الشعر العراقي الحديث ، وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه .
الطبعة الأولى بغداد ١٩٦٠
الدار القومية — الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٥
- ٣ — الشعر العراقي الاجتماعي بالإنكليزية — بغداد ١٩٦٢
- ٤ — مخطوطة شعر الأخرس — تحقيق — بغداد ١٩٦٣
- ٥ — خيرى الهنداوى، حياته وشعره معهد البحوث والدراسات العربية —
القاهرة ١٩٦٥
- ٦ — د.ارد باشا ونهاية المماليك في العراق منشورات على البصرى —
بغداد ١٩٦٧
- ٦ — التيارات الأدبية في العراق والزهاوى الشاعر القلق — بغداد ١٩٦٢
- ٨ — في الأدب العربي الحديث ، مقالات وبحوث ج ١ — بغداد ١٩٦٧
- ٩ — في الأدب العربي الحديث ، وثائق ونصوص ج ٢ (تحت الطبع)
- ١٠ — مخطوطات عربية في مكتبة صوفية العربية المجمع العلمى العراقى —
بغداد ١٩٦٧
- ١١ — الاشتراكية والقومية وأثرهما في الشعر الحديث — القاهرة ١٩٦٨
- ١٢ — في ضمير الزمن (شعر) مصر ١٩٥٠
- ١٣ — ألحان (شعر) مصر ١٩٥٣
- ١٤ — لهات الحياة (شعر) بيروت ١٩٦٠

المحتوى

الموضوع	الصفحة
الاهداء :	•
المقدمة :	٧ - ٨

الفصل الأول

العقيدة والفكر	٩ - ١٧
----------------	--------

الفصل الثانى

الدين والعلم	٢١ - ٣٣
--------------	---------

الفصل الثالث

جذور الاشتراكية	٣٧ - ٥١
-----------------	---------

- ٣٧ - أصل الاشتراكية ٣٩ - أصل الشيوعية
٤١ - البلاد العربية وجمال الدين الأفغانى
٤٢ - برناردوشو ٤٣ - انكلترا ٤٤ - النظام
الرأسمالى ٤٧ - مساوىء الرأسمالية ٤٨ - ماركس
وانكلز ٥٠ - ماركس

الفصل الرابع

العرب والاشتراكية	٥٥ - ٨٧
-------------------	---------

- ٥٨ - الدين الإسلامى ٦٤ - الغزالى ٦٥ - الحرية
والاشتراكية ٦٨ - الأفغانى والاشتراكية الإسلامية

- ٧٠ - الاشتراكية العربية ٧٦ - الرد على
الاشتراكية ٧٩ - الاشتراكية في العراق
٨٤ - مؤتمر الأدباء والاشتراكية ٨٤ - القرآن
والمفاهيم المثالية الاشتراكية ٨٥ - ٢ - الجنود
النارية للاشتراكية العربية ٨٧ - ٣ - المفاهيم
القومية الاشتراكية

الفصل الخامس

الشعر والاشتراكية ٩١ - ١١٣

- ٩٣ - أحمد شوقي ٩٦ - حافظ إبراهيم
٩٨ - حافظ وعمر بن الخطاب ١٠٠ - أحمد
الكاشف ١٠٠ - العراق ١٠٢ - محمد صالح
بحر العلوم ١٠٣ - شعراء آخرون ١٠٣ - أحمد
الصابي النجفي ١٠٥ - الجواهري ١٠٦ - علي
الشرقي ١٠٨ - الرصافي

قائمة الكتب الاشتراكية ١١٤ - ١١٨

الفصل السادس

القومية والشعر الحديث ١٢١ - ١٤٦

- ١٢٣ - أديب اسحق ١٢٣ - الكواكبي
١٢٨ - الإسلام والعرب ١٢٩ - الطورانية
١٣١ - العراقي ١٣٤ - التيار القومي والإسلامي
والشعر ١٣٨ - المسيحيون والإسلام
١٣٩ - الأجنبي والقومية ١٤٠ - الزهاوي
١٤١ - الكاظمي

الصفحة

الموضوع

١٨٩-١٤٩

نصوص للدراسة

- ١٤٩ — معروف الرصافي: إلى العمال ١٥١ — آل
السلطنة ١٥٢ — جزء من يوم سنخافورة
١٥٣ — جزء من معتك الحياة ١٥٥ — حافظ
ابراهيم: أماني الشاعر ١٥٦ — من قصيدة عمر
ابن الخطاب ١٥٩ — على الشرق: غناء الراعي
١٦١ — منجل الفلاح ١٦٣ — محمد مهدي الجوهري
الاقطاع ١٦٦ — محمود الحبوبي: اليتيم ١٦٩ — إلى
الأغنياء ١٧١ — احمد الصافي النجفي: الفلاح
١٧٣ — أحمد شوقي: أيها العمال ١٧٥ — عباس
العقاد: دار العمال ١٧٧ — الاشتراكية من كتاب
خاطرات جمال الدين الأفغاني ١٩٠ — شكر وتقدير

الفهارس :

- الاعلام
الكتب والمراجع
الجماعات
الأماكن والبلدان

الأعلام

(١)

أسعد داغر : ١٤٠

الأعشى : ١٢

أفلاطون : ٧٥

الآلوسي (أبو الثناء) : ١٣٢ - ١٣٣٥

الآلوسي (محمود شكري) : ١٣٢

أمين الخولي : ٨٤

انكلز : ٣٩ - ٤٧ - ٤٨ - ٧٠

أوين : ٣٨

ايليا أبو ماضي : ٩٣

(ب)

بوشكين : ١٧

بولس سلامة : ١٤٠

(ت)

تاوئي : ٧٤

تولستوي : ١٧ - ٩٥

تيمورلنك : ١٢٩

(ج)

جلال نوري : ١٣٠

الجاحظ (عمرو بن بحر) : ١٢٨

جمال الدين الأفغاني : ٢٥ - ٢٦ - ٤١ - ٤٢

٤٢ - ٦٨ - ٦٩ - ١٢٧ - ١٧٧

إبراهيم الباجه جي : ١١٢

إبراهيم عبد القادر المازني : ٣١ - ١٤٠

إبراهيم اليازجي : ١٣٠

أبو بكر الصديق : ١٥ - ١٨٣ - ١٨٤

١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩

أبوذر الغفاري : ٦٩ - ٧٨ - ١١٢ -

١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨

أبو يوسف : ٦٢

أحمد الخوافي : ١٣٨٥ - ١٣٩٥

أحمد الشاوي : ١٣٤

أحمد شوقي : ٢٥٥ - ٣١ - ٩٣ - ٩٤

٩٥ - ٩٦ - ١٠٣ - ١٣٨ - ١٧٣

أحمد الصافي النجفي : ٩٣ - ١٠٣ - ١٧١

أحمد فارس الشدياق : ٢٩

أحمد الكاشف : ٢٥٥ - ١٠٠

أحمد محرم : ٢٥٥ - ١٣٨ - ١٤٢

آدم سمث : ٤٧٥

أديب اسحق : ٢٦ - ١٢٣

أديب الجادر : ٧٩

أوزومانيان : ٤٧٥

أرنست رينان : ٢٦

جمال (باشا) : ۱۲۹

جمیل صدق الزهاوی : ۲۵۵ - ۲۸ -

۱۰۰ - ۱۱۲ - ۱۳۷ - ۱۴۰ - ۱۴۱

جواد الشیبی : ۱۱۲

جورج انطونیوس : ۱۲۵۰

جورج سلسقی : ۱۳۸

جون بیلرز : ۴۰

جیمس جنتن : ۳۱

(ح)

حافظ ابراهیم : ۱۵ - ۹۳ - ۹۶ - ۹۸ -

۹۹ - ۱۳۸ - ۱۵۵

حداد : ۵۹۵

حسان بن ثابت : ۱۲

حسین کمال الدین : ۱۰۳

حیدر رشیدی (الامیر) : ۹۷

(خ)

خالد بکداش : ۴۵۵

خالد الشاوی : ۸۰۵

خالد بن الولید : ۶۲

خدیجة : ۹۱

خرشوف : ۷۷

خلدون : ۴۷۵

خلیل مطران : ۱۳۸ - ۱۳۹

(د)

دروین وانر : ۱۰۱

دیدر : ۱۶

دیگارت : ۳۱

(ذ)

ذنون آیوب : ۱۵

(ر)

راشد البراوی : ۴۴۵

رشید سلیم الخوری : ۱۳۹

رضا توفیق : ۱۳۰

رفاعة الطهطاوی : ۲۹

روسو : ۱۶ - ۴۱

رؤوف الغلامی : ۱۳۱۵

رئیف خوری : ۱۲۳۵

(س)

ساطع الحصری : ۱۲۷۵ - ۱۴۵

سان سیمون : ۳۸ - ۴۷۵

ستالین : ۷۰

سعد زغلول : ۱۴۱

سعدون حمادی : ۷۶۵

سلامه موسی : ۱۵ - ۳۰ - ۳۲

سلیمان البستانی : ۲۹

سلیمان الشاوی : ۱۳۱

سیمونندی : ۴۷۵

(ش)

شبل شمیل : ۲۸

شکیب آرمسلان : ۲۵

الشنفری : ۱۳۱

عبد العزيز الدورى : ٨٥-٨٦-١٢٦٥

١٢٨ - ١٤٣

عبد الغنى الجميل : ١٣٢

عبد الغنى سعيد : ٦٧

عبد الغفار الآخرس : ١٣٢

عبد المحسن الكاظمى : ٣١-١٤١-١٤٢

عبد المطلب الامين : ١٢٥٥

عبد المنعم السيد . ٧٩

عصمت سيف الدولة : ٧٣٥

على بن أبى طالب : ٦٤

على الشرقى : ٩٣-١٠٣-١٠٦-١٥٩

عمر بن الخطاب : ٦٠-٦٢-٦٣-٩١

٩٨-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦

١٨٧-١٨٨-١٨٩

عمر بن عبد العزيز : ٦٢

عمرو بن العاص : ١٨٤

(غ)

الغزالى : ٦٤

(ف)

فاطمة الزهراء : ٦٤

فردريك لوبيه : ٥٩

فرنسيس : ٤٠

فوربية : ٣٨

فولثير : ١٦-٤١

(ق)

القزوينى : ١٣٢-١٣٤

قيصر : ١٨٥

شو (برنارد) : ٧٥

(ص)

صلاح الدين الايوبى : ٢٥

صلاح الدين النجد : ٧٧

(ط)

طاهر الجزائرى : ١٣١٥

الطبرى : ١٢٨

طه حسين : ١٥-٣١

(ع)

عادل الغضبان : ١٣٩

عباس محمود العقاد : ٣١-١٧٥

عبد الله بن عمر : ٩٨

عبد الله النديم : ٢٥٥-٣٠

عبد الباقي العمرى : ١٢٢

عبد الحسن زلزلة : ٧٤٥

عبد الحميد (السلطان) : ٢٩

عبد الحميد الشاوى : ١٣٢

عبد الرحمن البزاز : ٨١٥

عبد الرحمن البناء . ٩٣

عبد الرحمن شكرى : ٣١

عبد الرحمن الكواكبي : ٢٥-٢٧

١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦

عبد الرحيم محمد على : ١٤٢٥

عبد الرزاق شبيب : ٨٤

عبد الصاحب علوان : ٨١٥

عبد العزيز البدرى : ٦٠٥-٦٢-

٦٣-٦٦٥-٦٧

محمد خلف الله أحمد : ٧
 محمد رضا الشيباني : ٢٥ - ٢٦ - ٦٦ -
 ١١٢ - ١٢٦ - ١٤٤
 محمد رضا المظفرى : ١٠٣
 محمد صالح بحر العلوم : ١٠٢
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) :
 ٢٥٥ - ١٢١ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٠ -
 ١٨١ - ١٨٣ - ١٨٨
 محمد عبد المطلب : ١٣٨
 محمد عبده : ٢٥ - ٢٦ - ٦٧٥
 محمد عزة دروزة : ١٤٥٥
 محمد على اليعقوبى : ٢٥٥
 محمد عمارة : ٢٦٥ - ٦٩
 محمد الغلامى : ١٣١٥ - ١٣٢٥
 محمد كردعلى : ٢٤
 محمد مارون عبود : ١٤٠
 محمد الخزومى : ٤٢٥ - ٦٨٥
 محمد مهدي الجواهري : ٩٣ - ١٠٣ -
 ١٠٥ - ١٠٦ - ١٦٣
 محمد الهاشمي : ١٣٤
 محمود أحمد السيد : ١٥
 محمود الحبيوي : ٩٣ - ١٠٣ - ١١٢ - ١٦٦
 محمود سامي البارودي : ٣١
 مصطفى السباعي : ٥٩ - ٦٦
 مصطفى الشهابي : ١٢٥٥ - ١٢٧٥ -
 ١٢٨٥ - ١٢٩٥ - ١٣٠٥ - ١٣١
 مصطفى صادق الرافعي : ٣٠٥ - ٣١

(ك)

كاظم الدجيلي : ١١٢
 كاظم عبد الحميد : ٨٠٥
 كازميرى : ٢٥٥
 كروسلاند : ٤٩
 كرومر : ٢٥٥٠
 كسرى : ١٨٥
 كعب بن زهير : ١٢
 كوستاف لوبون : ٥٩٥
 كوسمو بوليتيه : ٤٥٥
 كول : ٤٧ - ٤٠٥ - ٧٤

(ل)

اللسبي : ٢٥
 لينين : ٧٠
 ليون : ١٧

(م)

ماركس : ٤٧ - ٤٨ - ٥٠ - ٧٠ - ٧٧
 مارون عبود : ١٤٠
 ماوتسى تونك : ٧١ - ٧٣
 المنفي : ١٢٦
 محمد أحمد باشميل : ٧٧
 محمد بهجة الاثري : ١١٢
 محمد جواد السوداني : ١٠٣
 محمد حسين : ٢٥٥٠

(۵۰)

هاشم الدباغ . ۸۰ ۵۰

هانیء بن هانی . ۱۲۸

هلال ناجی . ۱۱۰ ۵۰

هولا کو . ۱۲۹

(و)

وصفی قرنفلی ، ۱۳۸

ولی الدین یکن . ۲۹-۲۵۵

ویفل . ۲۵۵

(ی)

یاسین خلیل ، ۸۲-۸۳-۸۷

معاویة بن أبی سفیان : ۱۸۴-۱۸۶ -

۱۸۷

معروف الرصافی : ۱۵-۲۵۵-۳۱ -

۳۲-۹۳-۱۰۸-۱۰۹-۱۳۴-۱۳۶ -

۱۴۹

مکسیم کورکی : ۱۷

منیر البعلبکی : ۳۷۵

مونسیکیو : ۱۶

میشیل علق : ۷۲ ۵۰

(ن)

نجیب عازوری : ۱۲۵-۱۲۷۵

نجیب محفوظ . ۱۵

نوری الحافظ : ۸۲

نیومان . ۲۵ ۵۰

الكتب والمراجع

الأهرام (جريدة) ٢٥٥

(ب)

بداية ونهاية : ١٥
البلاد العربية والدولة العثمانية : ١٢٧٥
البيان الشيوعي : ٤٥٥ - ٤٦ - ٤٨٥ -
٥١٥ - ٥٠٥

(ت)

التجارة (مجلة) ٨١٥
تحت راية القرآن : ٣٠٥ - ٣١
تخليص الإبريز في تلخيص باريز : ٢٩
التراث الروحي في الشعر الحديث .
١٤٠٥ - ١٣٨٥
التضليل الإشتراكي : ٧٧
تفسير القرآن الكريم : ٦٧٥
التنسيكيت والتبكيك : ٣٠

(ث)

الثالثة : ١٤٠٥ - ١٤١٥

(ج)

الجذور التاريخية للإشتراكية العربية :
٨٥ - ١٢٦٥ - ١٢٨٥ - ١٢٣٥

(١)

ابحاث في القومية العربية : ٨١٥
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر :

٢٥٥

أحاديث الرسول : ٥
أدبنا وأدباءنا في المهاجر الأمريكية

١٣٦٥ :

الاستاذ (مجلة) : ٣٠
أسس الاشتراكية : ٣٨٥ - ٤٤٥ -
٤٨٥ - ٤٩٥ - ٧٣٥
الإسلام والأصول الفكرية
للإشتراكية : ٦٧ - ٦٨٥ - ٧٥
إشتراكية الإسلام : ٦٥٥ - ٦٢٥ -
٦٣٥ - ٦٤٥
الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى :

٢٦٥

الإقتصاد العربي (مجلة) ٨١٥

إقدام (جريدة) ١٢٩

أكلذوبة الإشتراكية : ٧٧ - ٧٨٥

أم القرى : ٢٧ - ١٢٤٥ - ١٢٦٥

الأمواج : ١٠٣

(ز)	الجهان المنضد في مدح الوزير أحمد :
زقاق المدق . ١٥	١٣١ هـ
(ش)	(خ)
الشعر العراقي الإجتماعي : ١٠١ هـ	خاطرات جمال الدين الأفغاني : ٢٦٥ -
الشعر العراقي الحديث في القرن التاسع	٤٢٥ - ٦٨ هـ - ٦٩ - ١٧٧
عشر : ١٠١ هـ - ١٠٣ - ١٠٨ -	خان الخليلي : ١٥
١٣١ هـ - ١٣٢ - ١٣٤	الخراج : ٦٢
(ش)	دور الأدب في معركة التحرر والبناء :
شمامة العنبر . ١٢٢ هـ	٨٧ هـ
الشوقيات - ٩٦	(د)
(ص)	ديوان الأخرس : ١٣٣ هـ
الصناعي (مجلة) - ٧٩	ديوان الجارم : ١٣٦ هـ - ١٣٨ هـ
(ط)	ديوان حافظ : ٩٧ هـ - ٩٩ هـ
طبائع الاستبداد : ٢٧ - ١٢٦	ديوان الرصافي : ٢٩ هـ - ١٣٥ هـ
(ع)	ديوان الطباطبائي : ١٣١ هـ
عبرة وذكري : ٢٩	ديوان القزويني : ١٣٤ هـ
العروة الوثقى - ١٢٧	ديوان السكاظمي : ١٤٢ هـ
العواطف . ١٠٢ هـ	(ذ)
(غ)	ذكر شاعر العرب . ١٤٢ هـ
غرائب الاغتراب . ١٣٣ هـ	(ر)
(ف)	رأس المال : ٥٠
الفسكر العربي الحديث : ١٢٣ هـ	الرد على الدهريين : ٤١ هـ
	رواد الفكر الإشتراكي : ٣٧ هـ -
	٣٨ هـ

المستقصى - ٦٤
مستقبل الاشتراكية . ٤٩٥ . ٧٤٥
مستقبل الرأسمالية . ٥٠٥
المعذبون في الأرض - ١٥
المعرفة (مجلة) - ٨٢
العلم الجديد (مجلة) - ٢٩
المعلوم والمجهول . ٢٩٠
مقالات في الغاية . ٤٢٥ - ٤٣
المقتطف : ٢٩
مهرجان الشعر الخامس . ١٣٩
مؤتمر الشهداء . ١٢٨٥ - ١٢٩ - ١٣٠
المؤتمر العربي الأول - ١٢٨
الميثاق - ٧٠
النظام الاشتراكي . ٤٤٥ ٣٨٥

(ن)

النظرات . ١٥٥

(هـ)

الهلال . ٢٩

(ي)

يقظة الأمة العربية - ١٢٥
يقظة العرب . ١٢٥
يقظة العرب في آسيا العثمانية . ١٢٧٥

في الأدب العربي الحديث . ١٥٥ - ١٠٠
في سبيل البعث . ٧٢٥ - ٧٦

(ق)

القاهرة الجديدة . ١٥
القديم والحديث . ٢٤٥ - ٣٢٠
القرآن الكريم . ٤٩ - ٦٥ - ٨٤
٨٥ - ١٢٢
القومية العربية تاريخها اقوامها وسماتها
١٢٧٥ - ١٢٨
القومية العربية في الشعر الحديث .
١٣٨٥ - ١٣٩٥ - ١٤٠٥ - ١٤٣
القومية والاشتراكية . ٨٢ - ٨٧
القومية والاشتراكية في شمس
الرصاصي . ١١٠٥

(ك)

السكاظمي شاعر العرب . ١٤٢
السكاظمي شاعر الكفاح العربي . ١٤٢٥
السكاظمي في ذكراه الثلاثين . ١٤٢٥
كليو باترة . ٩٦٠

(م)

ما هي الامبريالية . ٤٧٥
ما هي القومية . ١٢٧٥ - ١٤٥٥
مجال الفرر . ٢٩
المجمل بما أرى - ٢٨

الجماعات

الجامعة العربية : ١٢٢
جمعية الاتحاد والترقي : ٢٩ - ١٢٧ -

١٢٩

جمعية الأخاء العربي : ١٢٩ هـ

جمعية تركيا الفتاة : ١٢٩

الجمعية الثورية العربية اللامركزية :

١٢٩ هـ

الجمعية القحطانية : ١٢٩ هـ

جمعية النهضة العربية : ١٣١ هـ

(خ)

الخلفاء الراشدون : ١٢٩

(د)

الرجعيون : ٤٥

الروس : ١٥ - ١٧

(س)

السوريون : ١٣٠

(ش)

الشبهوعيون : ٥٠ - ٥١

(١)

الاتحاديون : ١٣٠

الأتراك : ١٢٩

الاجتماعيون : ٤١

الاشتراكيون : ٤١ - ٦٧ - ٧٢ - ٧٥ -

٨٢

الاقباط : ١٣٩

الاقطاعيون : ٤٠ - ٩٢ - ١٠٣

آل عثمان : ١١٠

الامويون : ١٨٦

الانصار : ١٨٥

الانكليز : ١٢٩ - ١٤٥

الاوربيون : ١٢٧

(ب)

البرابرة : ٤٦

(ت)

التتر : ١٢٩

(ج)

الجامعة الإسلامية : ١٢٢ - ١٨٦

(م)
 المرابون : ١٠٧
 المسلمون : ٦٢ - ٦٣ - ٨٤ - ٦٦ -
 ١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ هـ - ١٨١ -
 ١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨
 المسيحيون : ٦٢ - ١٣٨ - ١٣٩ -
 ١٤٥ هـ
 المستشرقون : ٢٦
 المغول : ٢٩٠ - ١٢٩
 المنتدى الأدنى : ١٢٩ هـ
 المهاجرون : ١٨٥
 (ن)
 النصارى : ٦٢
 (هـ)
 الهاشميون : ١٨٦
 (ى)
 اليهود : ٦٢ - ٦٣

(ص)
 الصيفيون : ٧١٠
 (ع)
 العثمانيون : ١٢٢
 العراقيون : ١٠٣ - ١٣٣
 العمال : ٣٨ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ -
 ٥١ - ٥٩ - ٦١ - ٦٩ - ٧٣ - ٧٤ -
 ١١٢ - ١٧٧ - ١٨٤ - ١٨٦
 (ف)
 الغربيون : ١٧٧
 الفرنسيون : ١٢٩ - ١٤٥ هـ
 الفلاحون : ١٤ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٠ -
 ٤١ - ٤٧ - ٥١ - ٩٢ - ٩٦
 (ق)
 القرشيون : ١٨٦
 القوميون : ٧٢

الأماكن والبلدان

(ج)	(١)
الجزائر : ٨٢ - ١٢٩	الاتحاد السوفياتي : ٥٦ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٤
الجزيرة : ١٤٣	الاستانة : ١٣٩ هـ - ١٣٠
الجمهورية العربية المتحدة : ٨٢	اكسفورد : ٣٧
(ح)	ألمانيا : ٧٢ - ١٢٦
الحجاز : ١٤٥ - ١٢٧ - ١٤٢	أمريكا : ٤٤ - ٤٩ - ١٢٦
حلب : ١٢٦ هـ	انكترا : ٤٣ - ٤٩ - ٧٣ - ٧٤
(خ)	أوربا : ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٩ - ٤٤
الخليج العربي : ١٢٥	٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ١٢٢ -
(د)	١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٩ هـ
الدجيلة : ٩٢	إيطاليا : ٧٢ - ١٢٦
دمشق : ٤٥٥ - ٨١٥ - ١٣١٥ -	(ب)
١٤١ - ١٤٤ - ١٨٤	باريس : ١٢٧ هـ
(ر)	بغداد : ٢٩ هـ - ٤٧ هـ - ٧٧ - ٨١ هـ
الربذة : ٦٠	٨٤ - ٨٧ - ١٢٢ - ١٣٦ - ١٤١
روسيا : ١٧ - ٥١ - ٥٦ - ٧٣	بيروت : ٢٦ - ٣٧ هـ - ١١٠ هـ -
(س)	١٢٣ هـ - ١٢٦ هـ - ١٢٧ هـ - ١٢٩ هـ
سورية : ١٢٤ - ١٢٩ هـ - ١٣٩	(ت)
	تركية : ١٢٩

السويس : ١٢٥

(ش)

٣٠ - ٦٢ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٤١ -

١٤٣ - ١٨٧

شمال أفريقيا : ١٠٠ - ١٢٥

(ص)

الصين : ٥٦ - ٧١ - ٧٣

(ع)

العراق : ١٥ - ٧٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ -

٨٤ - ٩٢ - ٩٣ - ١٠٠ - ١٠١ -

١٠٣ - ١٠٤ - ١١٢ - ١٢٥ -

١٢٧ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٦ -

١٣٧ - ١٤٠ - ١٤٣ - ١٨٤

(ف)

فرنسا : ٤٠ - ٤١ - ٤٣

فلسطين : ٢٥٥ - ١٢٥ - ١٣٨ - ١٤٣

(ق)

القاهرة : ١٥ - ٢٤٥ - ٤١٥ - ٤٤٥ -

٦٤٥ - ٧٠ - ١٢٧٥ - ١٣٥٥ -

١٣٦٥ - ١٣٨٥ - ١٤٤

القدس : ١٤١

(ك)

كندا : ٤٤

(ل)

لبنان : ١٢٥ - ١٢٩٥ - ١٣٩

(م)

المحيط الأطلسى : ١٢٥

المدينة المنورة : ٦٠

مصر : ٣٠ - ٩٣ - ٩٧ - ١٠١ - ١٢٢ -

١٢٩ - ١٣٤ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ -

١٤٣ - ١٤٨

مكة : ٢٥٥

الموصل : ١٣١٥

ميت غمر : ٩٧

(ن)

نيويورك : ٢٥٥

(هـ)

الهند : ١٢٩

(ي)

اليمن : ١٣٠

